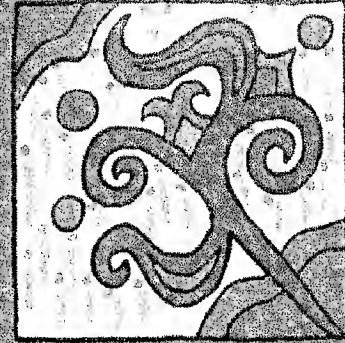


صَلَّى اللّٰهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سَيِّدُ الْاَلْق



أُحُد - الْأَحْزَاب - خَيْبَر

بقلم: كريمان حمزة • رسوم: صلاح بيصار



سَيِّدُ الْخَلْقِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَحُد - الْأَحْزَاب - خَيْبَر

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
أسسها محمد المعظم عام ١٩٦٨

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تليكس : SHOROK UN ٩3091
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨٦٧٥٥٥ - تليكس : SHOROK 20175 LE

سَيِّدُ الْخَلْقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

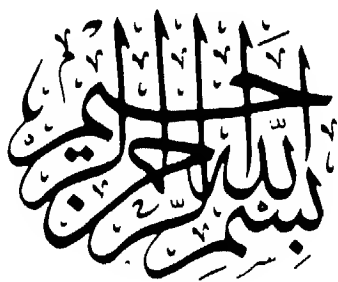
أَحَدُ - الْأَحْزَابِ - خَيْبَر

بقلم: كريميان حمزة • رسوم: صلاح بيصار



الجزء الرابع

دار الشروق



غَزْوَةُ أَحَد

بَكَتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَتْلِهَا فِي بَدْرٍ نَحْوَ شَهْرٍ . . ثُمَّ خَافَتْ أَنْ
يَفْرَحَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ فَكَفَّتْ عَنِ الْبُكَاءِ . . وَبَدَأَتْ تُفَكِّرُ فِي
الْإِنْتِقَامِ فَلَبِسَتْ الْحِدَادَ ^(١) . . وَجَزَّ ^(٢) النِّسَاءُ شُعُورَهُنَّ
وَحَاصِمْنَ أَزْوَاجَهُنَّ وَأَصْبَحَ رِجَالُ قُرَيْشٍ مِلْؤُهُمُ الْغَيْظُ تَسِيطِرُ
عَلَيْهِمُ الْحَسْرَةُ وَاللُّوْعَةُ وَتَعْلُو وُجُوهَهُمُ الْكَآبَةُ . . وَأَصْبَحَ هَمُّهَا
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ هُوَ الْأَخْذُ بِالنَّارِ .

غزوة السَّوِيقِ :

أَقْسَمَ أَبُو سُفْيَانَ لَا يَمَسُّ رَأْسَهُ ^(٣) مَاءً حَتَّى يَنْتَقِمَ لِقُرَيْشٍ . .
فَلَمَّا كَانَ شَهْرُ ذِي الْحِجَّةِ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَعَهُ مَائَتَا رَاكِبٍ مِنْ
قُرَيْشٍ قَاصِدًا الْقَبَائِلَ الْيَهُودِيَّةَ لِيَعْرِفَ أَخْبَارَ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ . . وَفِي
أَثْنَاءِ عَوْدَتِهِ مَرَّ (بِالْعَرِيضِ) - عَلَى نَحْوِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ -
فَرَأَى رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَتَلَهُ هُوَ وَأَجِيرُهُ ثُمَّ أَحْرَقَ عِدَّةَ بُيُوتٍ وَفَرَّ
هَارِبًا .

(١) ثياب المأتم ، للإشعار بالحزن على الميت .

(٢) قطع .

(٣) لا يغتسل





وراح المسلمون يلتقطون السويق وغنموا كثيراً

فلما عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ بِذَلِكَ خَرَجَ فِي مَائَتِي رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ لِيَلْحَقَ بِهِمْ وَلَكِنْ أَبَا سُفْيَانَ طَلَبَ مِنْ رِجَالِهِ أَنْ يَتَخَفَّفُوا
مِنْ أَثْقَالِهِمْ فَيُلْقُوا جَرَبَ السَّوِيقِ ^(١) حَتَّى يَتِمَكَّنُوا مِنَ الْإِسْرَاعِ فِي
الْهَرَبِ خَوْفًا مِنْ مُلَاحِقَةِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ . .

وَرَأَى الْمُسْلِمُونَ يَلْتَقِطُونَ السَّوِيقَ وَبَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ عَادُوا وَلَمْ
يَتِمَكَّنُوا مِنَ اللَّحَاقِ بِأَبِي سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ . . وَلَكِنَّهُمْ غَنِمُوا
سَوِيقًا كَثِيرًا .

ازداد غيظُ قريش لأنها لم تُحَقِّقْ مَا يَشْفِي غَلِيلَهَا . . فاجتمع
القرشيون وراحوا يتحدثون . . فقال أحدهم :

- إن رجوعَ أبي سفيان ورجاله على هذا النحو من الفرار شرٌّ
من الهزيمة .

وقال آخر :

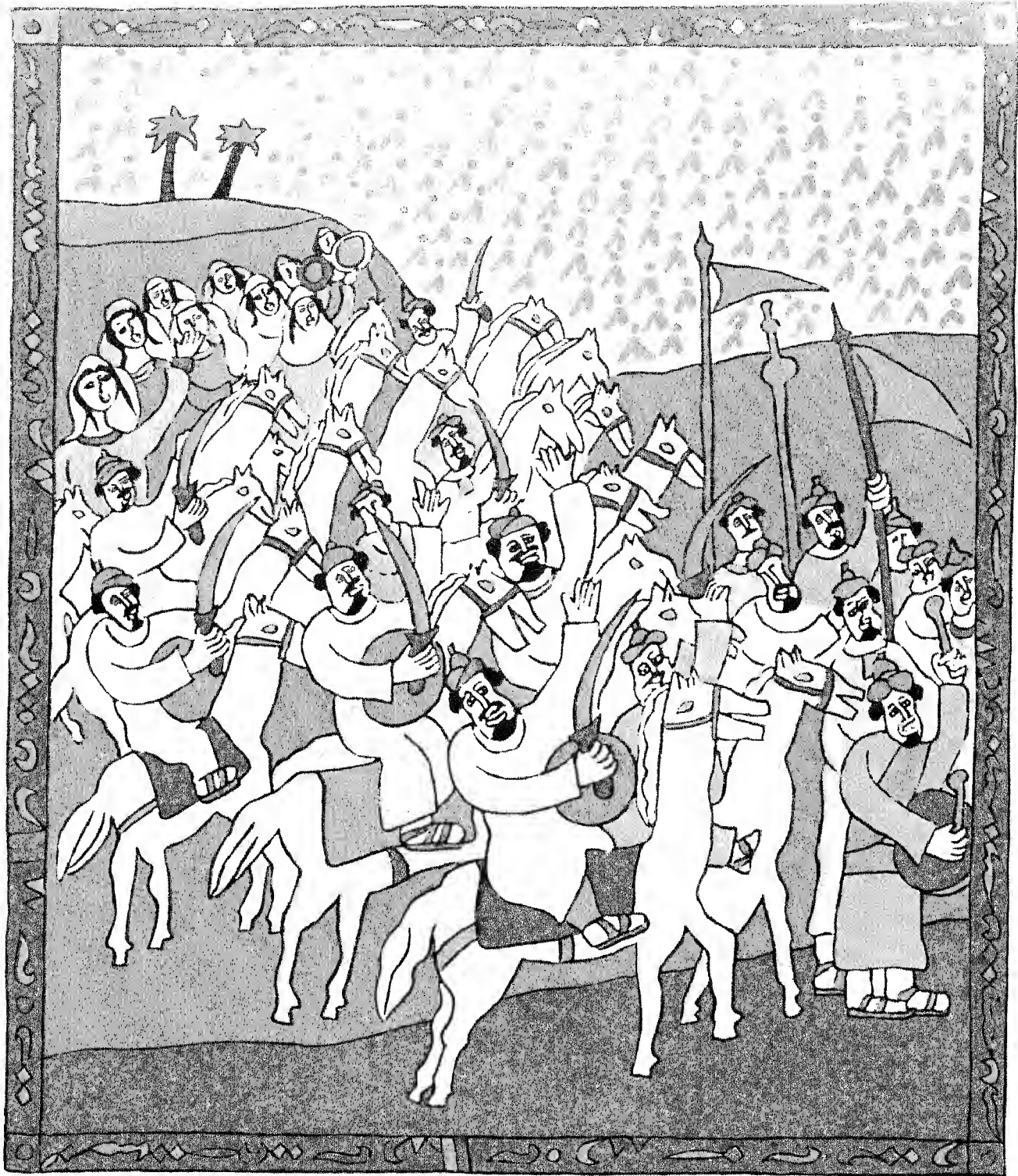
- المشكلة ليست فقط في هذا ولكن تجارتنا إلى الشام لأبد وأن
نمرَّ على مقرِّبةٍ من المسلمين ؟

وقال ثالث :

- والمسلمون كما تعلمون يشعرون بحقِّهم في هذه التجارة
مُقابِلَ ما أُجْبِرُوا على تركه في مكة من مساكن ، وأثاث ، وأموالٍ
وتجارة .

(٢) حقائب من الجلد يضعون فيها طعامهم





وتحركت قريش في ثلاثة آلاف مقاتل

وقال آخر :

- ماذا سنفعلُ إذن من أجلِ تجارتنا إلى الشامِ والمسلمونَ لا يتركونَ السَّاحلَ ؟

الأمرُ أصبحَ حياةً أو موتاً .

إما أن نذلَّ أمامَ محمدٍ وصَحْبِهِ أو نستعدَّ لِضَرْبَةِ قَاصِمَةٍ^(١) .

غَزْوَةُ أُحُد :

ظَلَّتْ قَرِيشٌ طَوَالَ عَامِهَا تَسْتَجْمَعُ قُوَّتَهَا ، وَتَرْصُدُ الْأَمْوَالَ وَتُعَبِّئُ الْقُوَى وَتَجْمَعُ السَّلَاحَ ، وَبَعَثَتْ رُسُلَهَا إِلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ . . ثُمَّ تَوَجَّهَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حِمَاسَةٍ شَيْطَانِيَةٍ لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ . . وَأَجْبَرَتْ نِسَاءَ قَرِيشٍ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ لِيُحَمِّسْنَ الرِّجَالَ وَكَانَ عَلَى رَأْسِهِنَّ هَنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ .

وَتَحَرَّكَتْ قَرِيشٌ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ فِي أَكْمَلِ اسْتِعْدَادٍ ، فِيهِمْ مَائَتَانِ مِنَ الْفُرْسَانِ الْمُدْرِبِينَ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ ، وَسَبْعُمِائَةٍ مِنَ الْمُدْرَعِينَ . . يَحْمِلُهُمْ عَدَدٌ وَفِيرٌ مِنَ الرِّكَايِبِ . . وَعَدَدٌ غَفِيرٌ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْغِلْمَانِ لِحِدْمَتِهِمْ . . وَكَانَ بَيْنَهُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ اسْمُهُ (وَحْشِيٌّ) وَكَانَ مَاهِرًا فِي الرَّمَايَةِ فَشَجَّعَهُ سَيِّدُهُ عَلَى قَتْلِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهُ :

« إِنْ أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ عَمِّ مُحَمَّدٍ فَأَنْتَ عَتِيقٌ^(٢) »

(١) مُهْلَكَةٌ . (٢) حُرٌّ طَلِيقٌ .

خُطَّةُ قُرَيْشٍ :

قررت قريش أن تخرج سراً حتى تُفاجيء المسلمين في عُقرِ دارهم . . فتُبَاغِتَهُمْ ^(١) وتُفَرِّقَ بين صفوفهم وتُضَعِفَهُمْ فإذا فشلت في ذلك والتحم ^(٢) الفريقان فأهمُّ ما يجب التركيز عليه هو قتل محمد . . من أجل ذلك تكتمت قريش الخُطَّةَ .

ولكن العباس بن عبد المطلب كتب إلى رسول الله بهذا الخبر . . فأرسل عُيُونَهُ يستطلعون الأمر فعادوا وقد رصدوا كلَّ شيء .

مجلس الشورى :

اجتمع صلى الله عليه وسلم بكبراء المدينة . وقال :
- أشيروا عليَّ .

فقام عبد الله بن أُبَيّ وقال :

امكث في المدينة ولا تخرج لملاقاة العدو . . فما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب مِنَّا وما دخل علينا قط إلا أصبناهُ . . يا رسول الله أطعني في هذا الأمر . . فقد ورثته عن أكابر القوم في المدينة .

وكان رأى رسول الله مع رأى ابن أُبَيّ وكان ذلك رأى الأكابر ولكن تدخل بعض فتيان المسلمين ممن لم يشهدوا بدرًا ، ورغبوا في لقاء يُنيلهم ما ناله البدريون من فخر . . فقالوا :

(١) تفاجئهم . (٢) اشتبك

- « أُخْرِجْ بَنِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَى عَدُوِّنَا » ..

وقال آخر :

- إنا نخشى أن يظنَّ عدوُّنا أننا كَرِهْنَا الخروجَ جُبْنًا وخوفًا ..

وقال فتى آخر :

- يارسول الله نحنُ بينَ الحُسَيْنَيْنِ النصرِ أو الشهادةِ ..

عندئذٍ تدخلُ الكِبَارُ فقال النُّعْمَانُ بْنُ مَالِكٍ :

- لِمَ تَحْرِمُنَا الْجَنَّةَ ؟ فَوَاللَّهِ لَأَدْخُلَنَّهَا ..

فقال رسولُ الله : بِمَ ؟

قال : إني امرؤُ أُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ ولا أَفِرُّ يَوْمَ الزَّحْفِ ..

وقال حمزةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ :

- والذي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لا أُطْعِمُ الْيَوْمَ طَعَامًا حَتَّى

أُجَالِدَهُمْ بِسَيْفِي خَارِجَ الْمَدِينَةِ .

ورأى رسولُ الله أن الخروجَ هو الرغبةُ الغالبةُ فَلَبَسَ لَأَمَّةَ

الْحَرْبِ^(١) وعندما خَرَجَ وجدَ النَّاسَ يَتَنَاقَشُونَ .. ويقولُ البعضُ

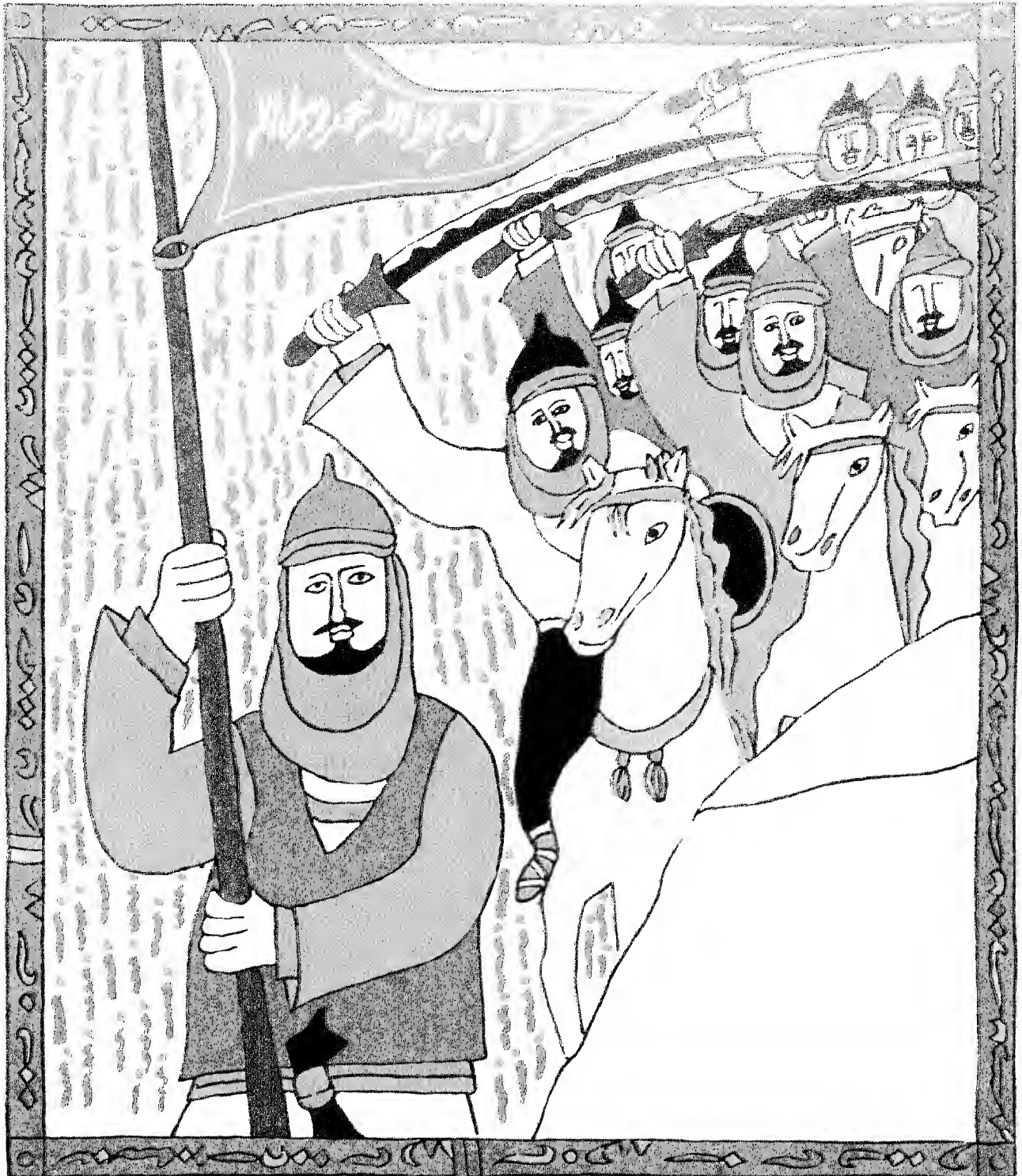
ما كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالَفَ رَأْيَ النَّبِيِّ .. وقد رأينا الكَرَاهَةَ فِي وَجْهِهِ

يُرِيدُ أَنْ تَدُورَ الْمَعْرَكَةُ فِي الْمَدِينَةِ .. لأننا أَعْلَمُ بِحَوَارِيهَا وَأَزَقَّتِهَا ..

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا :

(١) أداة الحرب كلها من رُمَح ، وسيف ، ودرع ..





وأعطى لواء المهاجرين إلى مصعب بن عمير

- قد دعوتكم إلى هذا الحديث فَأَيُّكُمْ ^(١) ، ولا ينبغي لنبي إذا
لَبَسَ لَأَمْتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ . .

وبدا صلى الله عليه وسلم تنظيم الصفوف فعقد ألوية
ثلاثة . . وأعطى لواء الأوس لأسيد بن حضير . . ولواء الخزرج
لحباب بن المنذر . . ولواء المهاجرين إلى مضعب بن عُمير . . ثم
ركب فرسه وخرج في ألف من أصحابه فيهم مائة رجل يلبسون
الدُّرُوعَ والنَّاسُ عن يمينه وعن شماله . . وكان ذلك يوم ستة من
شوال وقد ترك ابن أم مكتوم ليُصلَّى بالناس في المدينة .

ظَلَّ الجيشُ سائراً حتى أتى مكاناً يقال له « الشيخين » فعسكر
فيه . . وأخذ يستعرض جيشه ويردُّ من استصغره من الجنود فردَّ
رافع بن خديج وسمرة بن جندب فقالوا :
- يا رسول الله إن رافعاً يحسن الرماية .

- فأجازه رسول الله

فبكى سمرة وقال أجاز رافعاً وردني مع أني أصرعه ^(٢) . .
فسمع ذلك رسول الله وأمرهما أن يتصارعا فكان الغالب سمرة
فأجازه هو الآخر .

(١) رفضتم .

(٢) أغلبه



وجعل خمسين من الرماة على جبل « عينين »

الْأَخْطَاءُ الثَّلَاثَةُ

الْخَطَأُ الْأَوَّلُ : الْأَنَا إِذَا دَخَلْتُ الْقَلْبَ :

فُوجِيَ رَسُولُ اللَّهِ بِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي انْشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَرَجَعَ وَمَعَهُ ثَلَاثُمِائَةُ جَنْدِي . . ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ مُنَافِقًا يَكْرَهُ الْمُسْلِمِينَ وَيَتَمَنَّى هَزِيمَتَهُمْ . . وَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَهُوَ رَاجِعٌ :

أَطَاعَ رَسُولُ اللَّهِ الْغُلَمَانَ وَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَعَصَانِي وَلَمْ يَأْخُذْ بِرَأْيِي فَلَمَّاذَا نَقَلْتُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا وَحَاوَلَ الْقَوْمُ أَنْ يَتَنُوهُ عَنْ رَأْيِهِ وَلَكِنَّهُ كَانَ يُرَدُّدُ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْغَاكُمْ ، وَلَقَدْ أَحْدَثَتْ هَذِهِ الْفِعْلَةُ الشَّنِيعَةُ خَلْخَلَةً فِي بِنَاءِ الْجِيْشِ .

ثُمَّ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى وَصَلَ جَبَلَ أُحُدٍ فَنَزَلَ فِي جَانِبِ الْوَادِي بِجَوَارِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ « جَبَلُ عَيْنِينَ » . . فَجَعَلَ ظَهَرَ الْجُنُودِ إِلَى الْجَبَلِ لِيَحْتَمُوا بِهِ . . وَوُجُوهَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ بِحَيْثُ يُشْرَفُونَ عَلَى الْوَادِي مِنْ أَعْلَاهُ . . وَجَعَلَ خَمْسِينَ مِنَ الرُّمَاهُ عَلَى جَبَلِ (عَيْنِينَ) لِيَحْمُوا ظُهُورَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ الْقِتَالِ وَشَدَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَتْرَكُوا أَمَاكِنَهُمْ سِوَاءَ أَكَانَ النَّصْرُ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْ عَلَيْهِمْ . .

(١) انْشَقَّ عَلَى : خَرَجَ مِنْهُمْ وَصَارَ ضِدَّهُمْ

وبينما كان الرسولُ مُنهمِكاً في تسوية الصفوفِ ظهرَ القرشيونَ
من السهلِ المنبسطِ وصارَ الجيشانِ وَجْهاً لوجهٍ .
وحاولَ أبو سُفْيَانٍ إضعافَ المسلمينَ فنادى :

— يا معشرَ الأوسِ والخزرجِ ، خَلُّوا بيننا وبينَ بنى عَمَّنَا
وننصرفُ عنكم . ولكنَّ كلامَهُ ذَهَبَ أدراجَ الرياحِ . .
ودارتِ رَحَى ^(١) المعركةِ واشتدَّ الرَّمْيُ من الجانبينِ . . فعادَ
المشركونَ إلى أماكنهم كما كانوا أولَ المعركةِ .

ونادوا : فلنبداً بالمبارزةِ . . ثم خرجَ رجلٌ من المشركينَ فخرجَ
له الزُّبيرُ بنُ العوّامِ فقتلهُ .
وداحَ المسلمونَ يُكَبِّرُونَ . . .

ثم هجمَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ على أَحَدِ الكُفَّارِ الذينَ يحملونَ
لِواءٍ ^(٢) المُشْرِكِينَ فقتلهُ . . فجاءَ أَخُوهُ . . فقتلهُ المسلمونَ ثم جاءَ
آخرٌ فقتلوه . . ثم تناوَبَ اللواءَ بعدهم أربعةٌ فقتلهم المسلمونَ
واحدًا واحدًا . .

وارتدَّ المشركونَ . . وانكسرتْ شوكتُهم وتفرقتْ صفوفُهم . .
فحملَ المسلمونَ عليهم حَمْلَةً صادقةً . . وأمعنوا فيهم ضرباً
بالسيوفِ ورمياً بالسَّهَامِ . . ففروا فِرارَ الفأرِ من الأسدِ وتبعهم

(١) رَحَى : بدء المعركة واشتدادها (٢) لواء : عَلَم





واندفع الرماة نازلين إلى سفح الجبل وانغمسوا في جمع الغنائم

المسلمون فراحَت نساؤُهُم يصرُخُنَ ويُولُون . . حتى ابتعدوا . .
وأوشكَ المسلمون على النصرِ المبين .
الخطأُ الثاني : نسيانُ أوامرِ الرسول :

ومَا إن رأى المسلمونَ المشركينَ في فرارِهِم حتى انقضُّوا على
الغنائمِ يجمعونها وهم مُطمئنُّون إلى أَنَّ ظُهُورَهُم لا تزالُ محميَّةً
بالجنودِ الذين يقفون بالنِّبالِ على جَبَلٍ عيين .

وعندئذٍ تحركَ في قلبِ الرُّمَّةِ حُبُّ الدُّنيا وجمُعُ الأموالِ والرغبةُ
في الاقْتِناءِ . . وخَشَوْا أَن يسبقَهُم إخوانُهُم إلى الغنائِمِ . . فنَسُوا
أمرَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم . . وغفلُوا عن تشديدِهِ
بالاستمرارِ في المواقعِ تحتَ أيِّ ظرفٍ واندفعُوا نازِلينَ إلى سَفْحِ
الجبَلِ وانغمسُوا في جمیعِ الغنائِمِ .

وفي هذه الأثناء كان خالدُ بنُ الوليد ^(١) يتقهقرُ وعَيْنُهُ إلى التَّلِ
لا تفارقه فلما لَمَحَ الرُّمَّةَ يتركون مواقعَهُم انقلبَ راجعاً وتسلَّلُوا فوقَ
الجبَلِ وأزاحوا الرُّمَّةَ الباقيينَ من أماكنِهِم ، واقتحمُوا خُطوطَ
المسلمينَ من الخَلْفِ . . وانهاأُوا عليهم طَعناً وتقتيلاً واضطربَ
المسلمونَ وزُلْزِلُوا زلزالاً شديداً . . وراحُوا يقاتلون على غيرِ نظامٍ
حتى قَتَلَ بعضهم بعضاً خطأً .

(١) لم يكن قد دخل الاسلام بعد .

الخطأ الثالث : تصديق الإشاعات :

ووقع المسلمون في خطأ ثالث . . فقد أعلن أحد الكفار بصوت جهوري (أن محمداً قد قُتل) . . فصدق المسلمون النبأ ولم يتبينوا ودب في صفوفهم الألم . . وضعفت الروح المعنوية . .

ولقد نسي المسلمون أنهم إنما خرجوا ليرفعوا راية الله عالية وينصروا دينه الحق . . وأن نبيهم بشر رسول يمكن أن يموت في أي لحظة ولكن عليهم أن يكملوا المشوار ، وفي أثناء هذه الدهشة البالغة . . راح رسول الله يصيح بهم : إلى عباد الله . . إلى عباد الله إلى يا فلان إلى يا فلان أنا رسول الله .

وتنبه بعض المسلمين فالتفتوا حوله بينما كان رسول الله يرمى بالنبل حتى انكسرت نبأه ، ثم ظل يرمى بالحجارة حتى وقع على جنبه .

وثبت حوله عشرة رجال فأحاطوا به يصدون عنه هجمات العدو وضربات السيوف . ومنهم طلحة بن عبيد الله الذي قاتل قتالاً شديداً ليحمي رسول الله . . حتى قال صلى الله عليه وسلم : « قد أوجب طلحة لنفسه الجنة » .

ثم قتل شماس بن عثمان بعد أن تلقى عدة طعنات من المشركين كانت موجهة إلى رسول الله .





أم عمارة تقاثل قتلاً مستميتاً

وعندما اشتدَّ الرَّمى بالنبالِ احتضنَ أبو دجانةَ رسولَ الله وراح يتلقَّى عنه النبلَ .

وكان رسولُ الله يُناولُ سعدَ بنَ أبي وقاص النبلَ ويقولُ « ارمِ فِدَاكَ أبى وأمى » .

أُمِ عِمَارَة :

أما أُمُّ عِمَارَة ، فكانت تَسْقِي الناسَ يومَ أحد . . فلما رأت رسولَ الله قد أُحِيطَ بالكفار . . وَضَعَتْ سِقَاءَهَا وَأَخَذَتْ سَيْفًا . . وراحت تُقاتلُ قتالاَ مُسْتَمِيتاً حتى جُرِحَتْ ثلاثةَ عشرَ جُرحاً . . وقد سُمِعَ رسولُ الله يقولُ يومئذ « ما التفتُ يميناً ولا شمالاً إلا أراها تُدافعُ دُونِي » .

وماتَ مُضْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ وهو يتلقَّى عن رسولِ الله ضَرَبَاتٍ قد سُدَّتْ إليه . . وماتَ في ذلكَ اليومَ خلقٌ كثيرٌ كُلُّهم كانوا يَفْدُونَ رسولَ الله بأرواحهم .

وكُسِرَ في هذا اليومَ رِبَاعِيَّةُ ^(١) رسولِ الله اليُمْنَى .

ودخلتْ في وَجَنَةِ ^(٢) رسولِ الله حَلَقَتَانِ من قِنَاعِ حديدٍ كان يوضعُ على الوجه . . ونَزَفَ دَمُهُ وَحَمَلُهُ أَصْحَابُهُ إِلَى الشَّعْبِ .

أما المُشْرِكُونَ فقد ارتاحَتْ قلوبُهم بعدَ أَنْ انتقموا ليومَ بدر وذهبوا يَدْفِنُونَ قَتْلَاهُمْ . . وأما النِّسَاءُ المُشْرِكَاتُ فقد رُحِنَ

(١) الرباعية : السن التي تجاور الناب . (٢) وجنة : ما ارتفع من الخدين .



أبو سفيان . . لوى فرسه والدم يغلى فى عروقه متجهاً إلى مكة

يُمَثِّلْنَ^(١) بالقتلى من المسلمين . . فيقطعُعن أنوفهم وآذانهم
 وذهبت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وانقضت على جثمان حمزة
 عم رسول الله تضرُّبه وتقطعُّه ثم لم تكف بذلك فبقرت^(٢) بطنه
 وأخرجت كبده ، وراحت تقضمها^(٣) بأسنانها . . وتأكلها أكل
 المغيظ الحاقد ولما لم تستطع أن تستطعمها لفظتها .

وكان هم أبي سفيان أن يجد رسول الله بين الجثث المتناثرة ولما لم
 يجده طار عقله وراح ينادى على المسلمين . . علَّه يعرف الخبر
 اليقين . . ولما تأكد من ظنه لوى عنان فرسه والدَّم يغلى في عروقه
 متجهاً إلى مكة عازماً ومُصمِّماً على قتال المسلمين حتى يقتل
 محمداً .

فلما ابتعد القرشيون قام أبو عبيدة فنزع الحلقتين بأسنانه من
 وجه رسول الله فسقطت مع الحلقة الأولى إحدى ثناياه^(٤)
 وسقطت مع الحلقة الثانية ثنيته الثانية ، فكان أبو عبيدة بعد ذلك
 أحسن الناس هتماً^(٥) .

(١) يُمَثِّلْنَ بالقتلى : يَقمَن بتشويه القتلى

(٢) فبقرت بطنه : شَقَّتْهَا

(٣) تقضمها : تضغط بأطراف أسنانها

(٤) ثناياه : جمع ومفردها : ثنية وهي إحدى الأسنان الأربع التي في مقدم الفم ، اثنتان من
 فوق واثنتان من تحت .

(٥) هتم : نزع مقدم الأسنان .





وأقبلن عليه وقالت له أم عامر الأشهلية : كل مصيبة بعدك جلل

وبعد قليلٍ جاءت فاطمة بنت محمد في نسوة من المدينة
ملهوفة على والدِها فلما وقع بصرها عليه راحت تبكي بكاءً مرّاً
وتعانق والدَها وتُحاول تطيب خاطرِه .

ورغم جراحه صلى الله عليه وسلم فإنه أصرَّ على النزول إلى
ساحة المعركة لينظر القتلى من أصحابِه ، فلما وقع بصره على عمِّه
حمزة اهتزَّ من شدة الحزن وبكى وقال : « ما وقفتُ موقفاً أغيظَ إلىَّ
من هذا الموقف » .

ثم راحَ يتنقلُ بين جثث الشهداء ويصلي عليهم ويدعو لهم
وقال :

« أنا شهيدٌ على هؤلاء أنه ما من جريح يُجرَحُ في الله إلا ويبعثه
الله يوم القيامة يذمي جرحه اللون لون الدَّم والريح ريح المسك »
ثم أمرَ بدفْنهم حيث قُتلوا . . وقال : لِفُوهُمُ بدمائهم
وجراحهم . . وانظروا أكثرهم جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابِه
في القبر » .

ثم توجه الجميع إلى المدينة يُلْفُهم حزنٌ عميقٌ . . وكان نساءُ
المدينة يبكين قتلاهم فلما وقع بصرهنَّ عليه صلى الله عليه وسلم
نسينَ الحزنَ وأقبلنَ عليه وقالت له أمُّ عامرٍ الأشْهليَّةُ : كُلُّ مَصِيبَةٍ
بَعْدَكَ جَلَلٌ ^(١) .

(١) الشيء الكبير العظيم (لأن بعد رسول الله لانجد من يُعيننا فأصغر مصيبة بعده كبيرة)

وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَبْكُوا قَتْلَهُمْ لِيَنْفُسُوا عَنْ
صُدُورِهِمْ وَلَكِنَّهُ نَهَى عَنْ لَطْمِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ ، وَنِيَاحَةِ
الْجَاهِلِيَّةِ ^(١) .

ونزل قول الحق تبارك وتعالى يُوَسِّى الْمُسْلِمِينَ فِي مُحَنَّتِهِمْ فَقَالَ :
« وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . إِنْ
يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ^(٢) فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا
بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا
يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ، وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ، أَمْ
حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ
الصَّابِرِينَ » « آل عمران ١٣٩ - ١٤٣ »

غزوة بني النضير : (العام الرابع للهجرة)

لا زال المسلمون يُعَانُونَ آثارَ غزوة أُحُد . . ولا زالَ الْمَنَافِقُونَ فِي
الْمَدِينَةِ وَالْيَهُودُ وَالْمَشْرِكُونَ يَتَرَبُّصُونَ بِهِمْ وَيَعْمَلُونَ مَتَاعَ وَثَنٍ عَلَى
الْخَلَاصِ مِنْ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ . . وَبَاتَ الْيَهُودُ يُعِدُّونَ الْعُدَّةَ لِلْغَدْرِ
بِالْمُسْلِمِينَ فَنَزَلَ قَوْلُ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ
خَبَالًا ^(٣) وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي

(١) البكاء بجزع وعويل . (٢) الجرح نجزع وعويل .

(٣) لا يألونكم خبالاً : لا يقصرون في جلب الخبال والفساد في دينكم .

صُدُّوهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ
مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ، وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا
أَمْنًا ، وَإِذَا خَلَوْا ^(١) عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ، قُلْ مُوتُوا
بَغِيزِكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ
تَسُوْهُمْ ، وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا
يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ .

(آل عمران ١١٨ - ١٢٠)

وهكذا تكشف نوايا اليهود . . . وكان على المؤمنين أن
يَحْذَرُوهُمْ .



كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كبير القلب متسامحاً
ودوداً . . . كان ربه يأمره بالإيمان بموسى والتوراة وعيسى والإنجيل
واحترام كافة الأديان السماوية دون - تفریق . . . ولكم كان يتمنى
أن ينال تأييد أهل الكتاب جميعاً خصوصاً وأن كَهَتَّهُمْ ورسلهم
بشّر بنبي يأتي اسمه أحمد .

لذلك سارع رسول الله في الذهاب إلى بنى النضير ^(٢) يستعين
بهم في الحصول على دية ^(٣) قتيلين من بنى عامر غرّر ^(٤) بهما وكان
بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف . . . فلما جاءهم رسول
الله قالوا له :

(١) خَلَوْا : مضوا ، أو انفرد بعضهم ببعض . (٢) قبيلة يهودية تسكن المدينة .

(٣) دية : فداء

(٤) غرّر بهما : خدعا



من منكم يعلو هذا البيت ويلقى صخرة فيرخنا منه؟



جلاء بنى النضير عن المدينة

حَدِيثُ الْإِفْكِ

معنى الإفك أى الكذب والافتراء واتهام الناس بأشياء لم يفعلوها وهذا ما حدث للسيدة عائشة أم المؤمنين وزوج النبی صلی الله عليه وسلم أثناء عودة رسول الله مرهقاً من إحدى الغزوات . . وعندما أتى الليل نزل لىستريح قليلاً . . وكانت السيدة عائشة معه فذهبت إلى الخلاء ^(١) لتقضى حاجتها فسقط عقدها وانقرط . . فعادت إليه وراحت تلملمه وأبطأت قليلاً . . وكان رسول الله يظن أن عائشة فى الهودج ^(٢) فأمر القافلة بالرحيل ولم يشعر أحدٌ بغيابها . . وعندما عادت عائشة إلى مكان القافلة لم تجد أحداً . . فجلست مكانها وهى على يقين من أن القوم سيتنبهون لغيابها ويعودون إليها . . ثم غلبها النوم فنامت . . وكان من عادة القوافل أن يسير خلفها بمسافة رجل أو رجلان لالتقاط ما يمكن أن يكون قد سقط من القافلة من أنواع المتاع . . وكان خلف القافلة فى هذه المرة رجل مشهود له بالصلاح وحسن الإسلام هو صفوان بن المعطل ، فلما رأى إنساناً على الأرض اقترب منه ففوجىء بالسيدة عائشة نائمة فقال بدهشة :

(١) مكان بعيد لقضاء الحاجة .

(٢) الهودج : مقصورة ذات قبة توضع على ظهر الجمل لتركب فيها النساء .



صفوان بن المعطل يقود البعير إلى المدينة

«إنا لله وإنا إليه راجعون» فاستيقظت عائشة فزعةً فطمأنها وأعطاهما بعيره لتركبهُ واتَّجَهَ سائراً على قدميه إلى المدينة .

هذه هي القصة التي يُمكنُ أن تحدث لأيِّ إنسانٍ عادي إلا أنَّ أصحابَ النفوس الخبيثة والقلوبِ الآثمة والنَّوايا الدنيئة يتصيّدونَ الفرصَ للكيدِ والمكرِ بهم لمجرّدِ التسلية أو ليشفوا غليلَ صدورهم . . فما إن وقعت عينُ عبدِ اللهِ بنِ أبي على عائشة فوق البعيرِ وصفوانُ يسوقُها إلى المدينة حتى وجدَ فرصتهُ لإطلاقِ الإشاعات والنَّيلِ من شرفِ عائشة وهزِّ الثقةِ في النبيِّ الكريمِ والإساءةِ إلى هذا الفتى الصالحِ صفوان بنِ المعطلِّ . . وإيقاعِ الفتنَةِ بين المهاجرين والأنصارِ . فسمحت له نفسه الخبيثةُ أن يُشيعَ ما يُلطِّخُ به شرفَ عائشة وصفوان . . وراحت الألسنةُ الفاضحةُ من المنافقينَ واليهودِ تلوِّكُ سُمعةَ السيدةِ عائشة باللمزِ والهَمْزِ . . والتلميحِ والتصريحِ حتى أصبحَ هذا الهُراءُ حديثَ المدينة !!

ووصلَ الأمرُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فشعرَ بضراوةِ الطعناتِ وجرحِ كبريائه وتألَّم المأماً شديداً وباتَ يكتُمُ همَّهُ في قلبه من قسوةِ جرأةِ الناسِ عليه وعلى آلِ بيته حتى كادَ يهلكُ .
وأخذ المؤمنونَ والمؤمناتُ يدافعونَ عن عائشة ويردُّونَ :
- ليس هناكُ سندٌ ولا شُبْهَةٌ . . تكفي للشكِّ في امرأةٍ من عامةِ الناسِ خرجتُ للجهادِ مع حضرةِ النبي . . .





وراحت الألسنة الفاضحة من المنافقين واليهود تلوك سمعتها باللمز والهمز

- فما بَالُنَا بالسيدة عائشة ابنة الصديق وزوجة سيد الخلق ؟
وقال آخرون :

- لو كانت كُلُّ امرأةٍ تتأخَّرُ في الطريقِ تُؤخِّدُ بالتهمةِ في دينها وعِرْضِها ، لَكَانَتِ التُّهْمُ في الأعْراضِ ^(١) أَسْهَلَ شَيْءٍ يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ . . .

أَمَّا عَائِشَةُ فعندما وَصَلَهَا الْخَبْرُ مَرَضَتْ وَارْتَفَعَتْ حَرَارَتُهَا وَلَا زَمَتِ الْفِرَاشَ عِنْدَ أَهْلِهَا وَبَلَغَ بِهَا الْأَسَى إِلَى دَرَجَةٍ لَمْ تَسْتَطِعْ مَعَهَا الْحَدِيثَ . . وَإِنَّمَا دُمُوعٌ سَاخِنَةٌ مُتَدَفِّقَةٌ وَجَسَدٌ مَلْقَى فِي الْفِرَاشِ . . حَتَّى نَزَلَ وَحَى السَّمَاءَ لِيُبْرِئَ سَاخَتَهَا وَيُعَلِّمَ الْمُسْلِمِينَ حُدُودَ مَا يَجِبُ أَنْ يَقْفُوا عِنْدَهُ مِنَ الْكَلَامِ . . فَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

« إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا تُحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ^(٢) مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ »
النور : ١١
وهكذا بَرَّأتِ السَّمَاءُ السَّيِّدَةَ الطَّاهِرَةَ عَائِشَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَتَوَعَّدَتِ الشَّخْصَ الَّذِي سَمَحَتْ لَهُ نَفْسُهُ بِإِطْلَاقِ هَذِهِ الْكِذْبَةِ بِالْعَذَابِ الْعَظِيمِ .

(٢) الذي أشاع هذا الإفك

(١) العرض : هو الشرف

ثم امتدح القرآن المؤمنين والمؤمنات الذين لم يُصدّقوا هذه الأكذوبة وردّوا غيبة السيدة عائشة ودافعوا عنها فقال تعالى :
 « لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفكٌ مبينٌ » أى افتراء واضح .
 ثم علّم الله المؤمنين أن استسهال الطعن في أعراض الناس وشرفهم ليس بالأمر البسيط الهين فقال تعالى في نفس سورة النور:
 « وتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ »
 كما نبه المولى عزّ وجلّ المسلمين إلى عدم تتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر .

ثم عادت الآيات تُحذّر من رمي المحصّنات فقال تعالى :
 « إن الذين يرمون المحصّنات ^(١) الغافلات ^(٢) المؤمنات لِعَنُوا في الدنيا والآخرة ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، يومَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ويعلمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ » (سورة النور آية ٢٣ - ٢٥)

(١) الشريفات

(٢) اللاتي لا يخطر على بالهن الفسق والفجور والخيانة

غزوة الأحزاب الْخَنْدَق

(العام الخامس للهجرة)

لَمْ يَكُنْ خُرُوجُ بَنِي النَّضِيرِ مِنَ الْمَدِينَةِ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ عَلَى نَفْسِهِمْ
لَقَدْ مَلَأَ قُلُوبَهُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ لِذَلِكَ الرِّسُولِ الَّذِي جَاءَ بِدَعْوَةٍ
انْتَزَعَ ^(١) بِهَا مَكَانَتَهُمُ الدِّينِيَّةَ فِي الْمَدِينَةِ وَلَقَدْ تَظَاهَرَ بَنُو النَّضِيرِ
عِنْدَمَا رَحَلُوا عَنِ الْمَدِينَةِ بِالتَّجَلُّدِ ^(٢) وَالصَّبْرِ بَلْ وَالْغِبْطَةِ ^(٣)
وَالشُّرُورِ إِلَّا أَنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ تَغْلِي حِقْدًا وَتَضْمِيماً عَلَى الْإِنْتِقَامِ .
كَانَ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ يُذَرِّكُونَ جَيْدًا أَنَّ قَرِيشًا وَمَنْ حَوْلَهُمْ
مِنَ الْأَعْرَابِ يَتَمَنَّوْنَ الْقَضَاءَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَدَعْوَتِهِ . . فَلَجَأَ الْيَهُودُ
إِلَيْهِمْ يُحَرِّضُونَهُمْ وَيُنَسِّقُونَ مَعَهُمْ إِمْكَانِيَّةَ الْهَجُومِ عَلَى الْمَدِينَةِ دَفْعَةً
وَاحِدَةً تَقْضِي قَضَاءً مُبْرَماً ^(٤) عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا .

خَرَجَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ فِي نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ لِيَجْمَعُوا الْقَبَائِلَ
وَعِنْدَمَا التَّقَوْا بِالْقُرَشِيِّينَ سَأَلُوهُمْ :

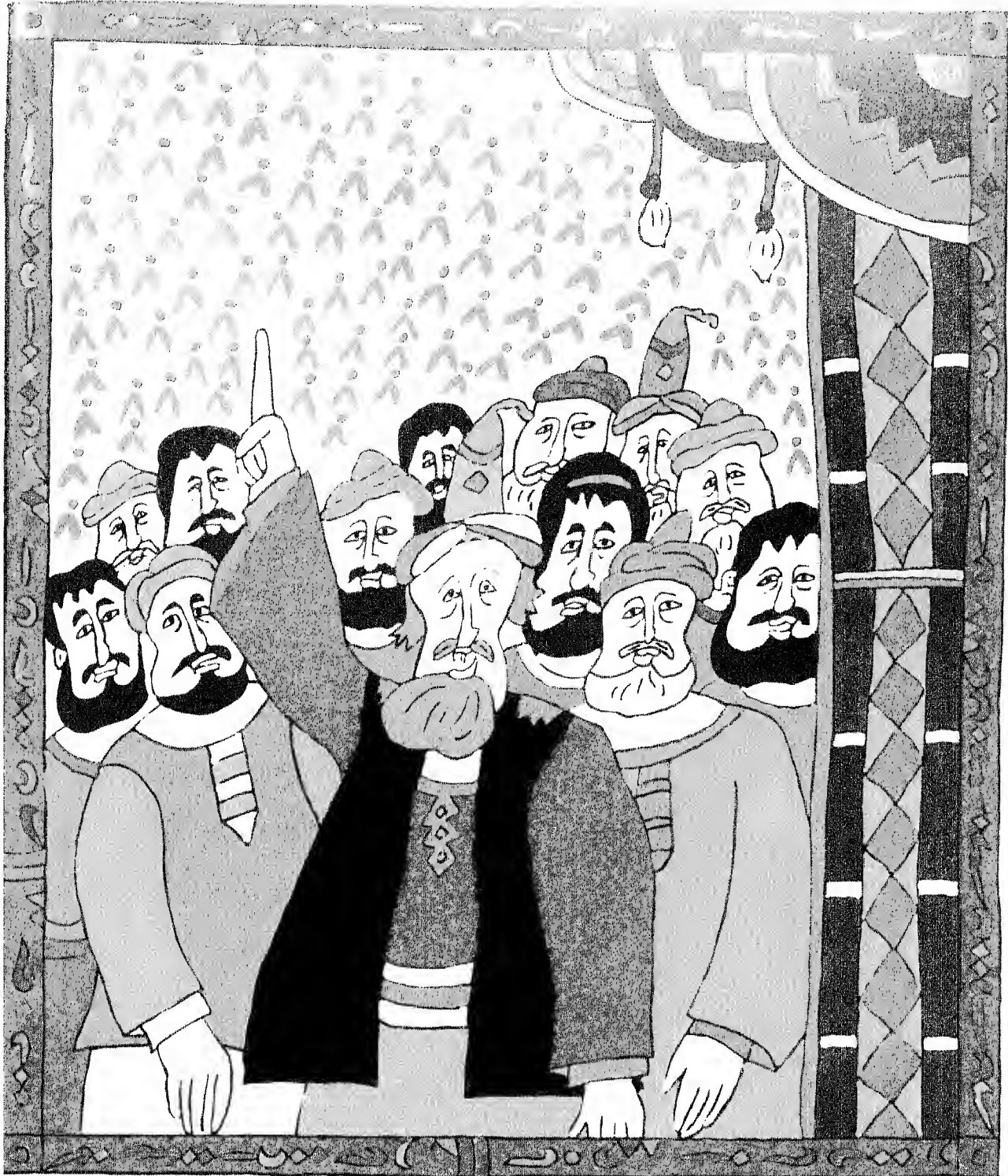
- يَا مَعْشَرَ يَهُودِ إِنَّكُمْ أَهْلُ كِتَابٍ أَفَدِينُنَا خَيْرًا أَمْ دِينُ مُحَمَّدٍ؟
فَرَدَّ الْيَهُودُ عَلَى الْفُورِ :

(١) اخذ عنوة .

(٢) الصبر والتحمل .

(٣) السعادة .

(٤) أكيدا وتاما .



فرد اليهود : دينكم أفضل . . وعبادة الأوثان أصح من عبادة الله الواحد الأحد !

— دِينَكُمْ أَفْضَلُ . . وعبادةُ الأوثانِ أَصَحُّ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ
الوَاحِدِ الْوَاحِدِ !! وهكذا بَلَغَ بِهِمُ الْحَقْدُ وَأَعْمَى بَصِيرَتَهُمْ عَنِ الْحَقِّ
وَنَافَقُوا قُرَيْشًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ :

« أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِييًّا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ (١)
وَالطَّاغُوتِ (٢)، ويقولون لِلَّذِينَ كَفَرُوا : هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ
آمَنُوا سَبِيلًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
نَصِيرًا (٣) » .

استمرَّ يَهُودُ بَنُو النَّضِيرِ يَتَنَقَّلُونَ مِنْ قَبِيلَةٍ إِلَى أُخْرَى يَدْعُوهُمْ إِلَى
التَّكْتُلِ لِمُحَارَبَةِ مُحَمَّدٍ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى اجْتَمَعَ لَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ وَقَبِيلَةٍ
أَسَدٍ وَغَطَفَانَ وَسَلِيمٍ وَمَنْ تَابَعَهُمْ عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ .
واتَّجَهَ هَذَا الْجَيْشُ إِلَى الْمَدِينَةِ بِقِيَادَةِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي
شَهْرِ شَوَّالٍ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ (فَبْرَايِر ٦٢٧)
لَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ بِنَبَأِ هَذَا الْجَيْشِ جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَرَاحَ
يَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ .

— مَاذَا يَجِبُ أَنْ نَفْعَلَ ؟ أَشِيرُوا عَلَيَّ .

— قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ :

« يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا بِأَرْضِ فَارِسَ إِذَا خِفْنَا الْعَدُوَّ خَنَدَقْنَا (٤)
عَلَيْنَا » .

(١) الجبْت : ما يخضع له الناس من دون الله (٢) الطَّاغُوت : كل معبود من دون الله
(٣) النساء : ٥١ ، ٥٣ (٤) حفَرْنَا حَوْلَ الْمَدِينَةِ حَفْرَةً لَا يَتِمَكَّنُ الْعَدُوُّ مِنْ اجْتِيَازِهَا



وبدأ العمل في الخندق

وَوَافَقَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى هَذِهِ الْفِكْرَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا الْعَرَبُ . . وَاتَّجَهَ الْجَمِيعُ لِلطَّوَافِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَتَحْدِيدِ أَمَاكِنِ الضَّعِيفِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَتَسَرَّبَ مِنْهَا الْعَدُوُّ وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى إِقَامَةِ الْخَنْدَقِ فِي شِمَالِ الْمَدِينَةِ وَرَاءَ جَبَلٍ (سَلْع) (١) .

وهكذا بدأ العمل في الخندق وأخبرهم رَسُولُ اللَّهِ بِقَرَبِ الْعَدُوِّ مِنْهُمْ وَسُرْعَةِ الْعَمَلِ وَاسْتَعَانَ الْمُسْلِمُونَ بِالْيَهُودِ مِنْ (بَنِي قُرَيْظَةَ) فِي إِمْدَادِهِمْ بِالْأَلَاةِ وَالْعُدَدِ وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ عَهْدٌ أَلَّا يَمِائِلُوا (٢) عَلَيْهِ أَحَدًا وَلَا يُنَاصِرُوا عَلَيْهِ عَدُوًّا .

رَاحَ الْمُسْلِمُونَ وَمَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ يَحْفَرُونَ الْأَرْضَ وَيَحْمِلُونَ التُّرَابَ فِي ثِيَابِهِمْ مِنْ شِدَّةِ السَّرْعَةِ . . وَرَاحَ رَسُولُ اللَّهِ يُشَجِّعُ عَمَلِيَّةَ الْحَفْرِ وَيَرْتَجِزُ (٣) بَعْضُ الْأَنَاشِيدِ لِحَثِّهِمْ وَكَانَ كُلَّمَا ضَرَبَ ضَرْبَةً فِي الْأَرْضِ قَالَ :

« اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ ، فَاغْفِرِ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ » .
وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ خَلْفِهِ يُرَدِّدُونَ :

(١) جبل في أطراف المدينة من ناحية الشمال

(٢) يماثلوا : يساعدوا

(٣) ينشد

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الَّذِينَ قَدْ بَغَوْنَا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا

ثُمَّ يَرْفَعُ صَوْتَهُ مُكَرِّرًا أَبِينَا . . أَبِينَا . . أَبِينَا (١) . .

وَلَقَدْ جَدَّ الْمُسْلِمُونَ فِي الْعَمَلِ بِإِخْلَاصٍ وَتَفَانٍ رَغَمَ شِدَّةِ الْبَرْدِ
وَقِلَّةِ الطَّعَامِ نَحْوَ شَهْرٍ كَامِلٍ . . ثُمَّ مَشُوا إِلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ
فَوَجَدُوهُ يَقِفُ حَيْرَانَ أَمَامَ صَخْرَةٍ اسْتَعْصَتْ عَلَيْهِ . . فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« دَعُونِي فَأَكُونَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَهَا . . ثُمَّ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ فَضَرَبَهَا
فَوَقَعَتْ فَلَقَةً ثُلُثُهَا ، فَقَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ قُصُورَ الشَّامِ وَرَبِّ
الْكَعْبَةِ » .

ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى فَوَقَعَتْ فَلَقَةً . . فَقَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ . . قُصُورَ
فَارِسَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ » .

فَبَشَّرَ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِ الشَّامِ وَفَارِسَ وَاسْتَبَشَّرَ الْمُؤْمِنُونَ وَاغْتَاظَ
الْمُنَافِقُونَ وَرَاحُوا يَسْخَرُونَ وَيَقُولُونَ :

« نَحْنُ نَخْنَدِقُ عَلَى أَنْفُسِنَا وَهَوَ يَعِدُنَا قُصُورَ فَارِسَ وَالرُّومِ ! »
وَسَّعَ الْمُسْلِمُونَ الْخَنْدَقَ وَعَمَّقُوهُ حَتَّى لَا تَتِمَّكَنَ الْخَيْلُ مِنْ
اِقْتِحَامِهِ . . وَأَرْسَلُوا النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ إِلَى الْأَطَامِ (٢) وَعَسَكَرَ

(٢) الحصون

(١) رفضنا

رَسُولُ اللَّهِ عِنْدَ مَكَانٍ مُنْخَفِضٍ وَجَعَلَهُ ظَهْرَهُ إِلَى الْجَبَلِ وَاسْتَقْبَلَ
الْعَدُوَّ بِوَجْهِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الْخَنْدَقِ . . وَكَانَ قَدْ جَمَعَ الشَّارَ وَحَصَدَ
الْغُلَّالَ لِيُؤْمِنَ الْجَيْشَ الْإِسْلَامِيَّ . . وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُؤْمِنُونَ ثَلَاثَةَ
آلَافٍ مُقَاتِلٍ وَعَدَدَ فُرْسَانِهِمْ ثَلَاثُونَ فَارِسًا .

وَبَعْدَ أَنْ فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ التَّجْهِيزَاتِ ظَهَرَتْ طَلَائِعُ
الْأَحْزَابِ مُقْبِلَةً عَلَى الْمَدِينَةِ نَاحِيَةَ أَحَدٍ ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ عَشْرَةَ آلَافٍ
مُقَاتِلٍ . . وَكَمْ كَانَتْ الْمَفَاجَأَةُ حِينَ اضْطَرُّوا لِلْوُقُوفِ أَمَامَ الْخَنْدَقِ
الَّذِي لَمْ يَكُنْ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ قَبْلُ . . وَأُطْلِقُوا جِهْلَهُمْ وَخِيُونَهُمْ
لِتَرَعَى فِي الْمَرَاغَى ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ كَانَ قَدْ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ
يُحْصِدُوا زَرْعَهُمْ فَكَانَتْ الْمَدِينَةُ جَذْبَاءً ^(١) . . وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ مَوْؤَنَةٌ
كَافِيَةٌ لِحَاجَتِهِمْ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَنْتَهِي فِي يَوْمٍ أَوْ بَعْضِ يَوْمٍ .

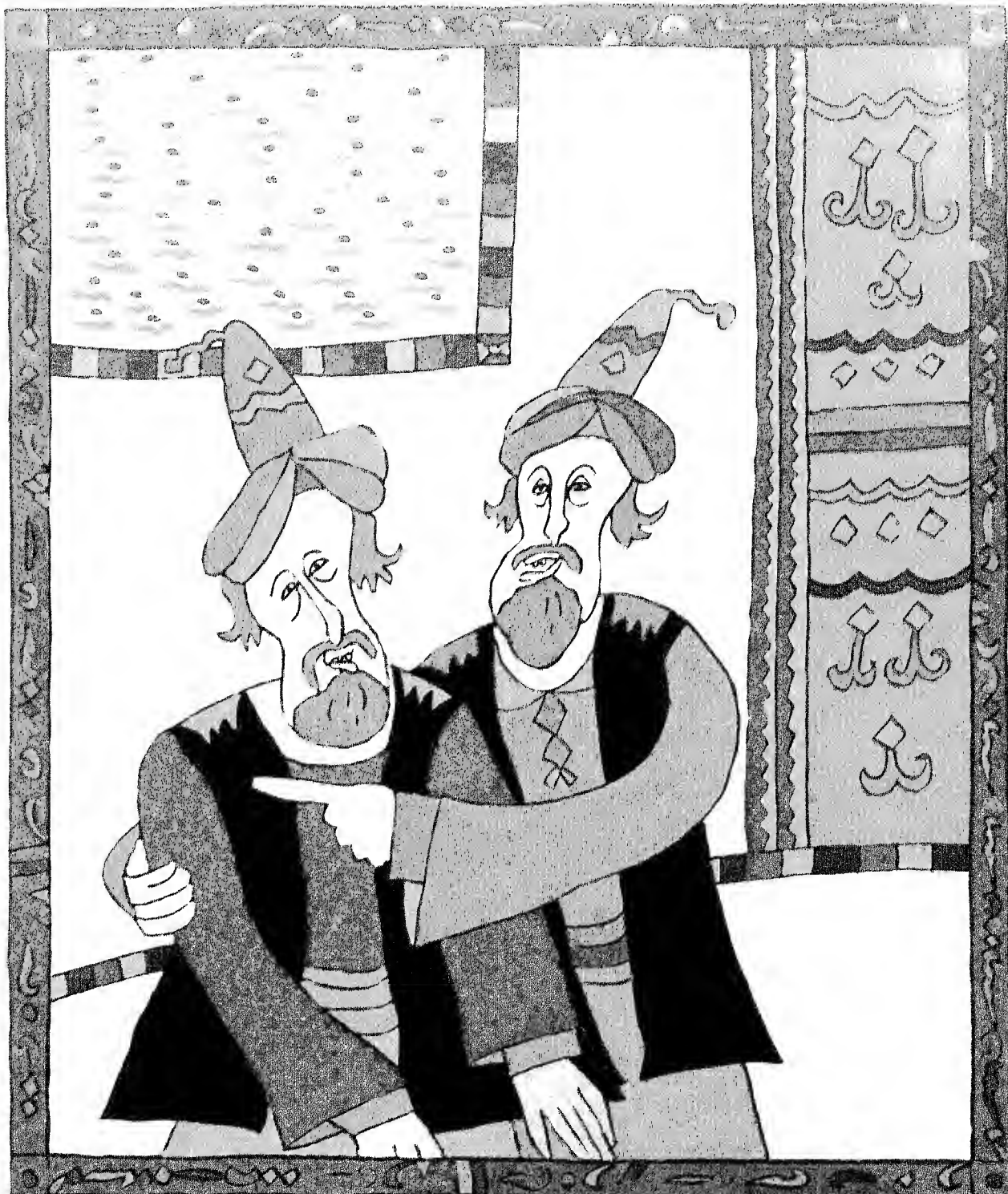
طَالَ التَّرْبُصُ وَالْإِنْتِظَارُ وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا تَبَادُلُ
السَّهَامِ وَالنِّبَالِ وَبَدَأَ الْيَأْسُ يَدْبُ فِي صُدُورِهِمْ فَخَافَ حِيٌّ بْنُ
أَخْطَبَ أَنْ تَضِيعَ الْفُرْصَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَسْأَمَ ^(٢) الْأَحْزَابُ مِنْ
طُولِ الْمَقَامِ فِيرْجِعُوا .

فَكَّرَ حِيٌّ بْنُ أَخْطَبَ فِي مَكِيدَةٍ يَدْخُلُ بِهَا الْمَدِينَةَ فَفَكَّرَ فِي يَهُودِ
بَنِي قُرَيْظَةَ وَكَانَ بَنُو قُرَيْظَةَ لَا يَزَالُونَ عَلَى عَهْدِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ

(١) لَزَرَ فِيهَا (٢) يَمَلُ



وكم كانت المفاجأة حين اضطروا للوقوف أمام الخندق



فذهب حُيى بن الأخطب إلى زعيمهم كعب بن أسد

فذهب حُيَّ بنُ أخطب إلى زعيمهم كعب بن أسد وأغلق دونه الباب وراح يُرغِّبه في التعاون مع قُريش وبقية القبائل للقضاء على محمد . . فرفض كعب بن أسد في أول الأمر وظل حُيَّ يرغِّبه ويعده بالوعود ويُمنيه بالأمانى حتى وافق على خيانة محمد وطعن المسلمين من الخلف .

وَعَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِذِهِ الْخِيَانَةِ وَبِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ وَرَاحَ يُفَكِّرُ كَيْفَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْأَحْزَابُ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ مُؤَيَّدِينَ مِنْ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَيَتِمَكَّنُ مِنَ التَّغْلِبِ عَلَيْهِمْ؟ فَكَّرَ رَسُولُ اللَّهِ أَوَّلًا فِي مُحَاوَلَةِ مُخَاطَبَتِهِمْ بِالْعَقْلِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ سَيِّدَ الْأَوْسِ وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ سَيِّدَ الْخَزْرَجِ لِمُخَاطَبَتِهِمْ بِالنِّبْيَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَتَذْكِيرِهِمْ بِالْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَمَا كَانَ جَوَابُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا :

« لَا عَهْدَ لَهُ عِنْدَنَا »

فَذَكَّرَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بِمَا حَدَّثَ لِبَنِي النَّضِيرِ جَزَاءَ خِيَانَتِهِمْ . . فَرَاخُوا يَقْدِفُونَهُ بِأَحْطِ الْأَلْفَافِ وَيَهْدِدُونَهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ رَجَعَ سَعْدُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مُسْرِعًا لِيُخْبِرَهُ بِغَدْرِ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ ! .

وَصَلَ خَبْرُ هَذِهِ الْمَوَآمِرَةِ الدَّنِيَّةِ إِلَى مَسَامِعِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ أَجْهَدَهُمْ حَفَرُ الْخَنْدَقِ وَالتَّرْبُصُّ الدَّائِمُ وَالْيَقْظَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ لَيْلَ نَهَارَ . . فَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ وَعَظُمَ الْخَوْفُ خُصُوصًا أَنَّ الْأَحْزَابَ أَمْعَنُوا فِي تَحْرُكَاتِهِمْ .



يقولُ تعالى في وصفِ حالِ المؤمنينَ عندما رَأَوْا المشركينَ يُشعلُونَ النارَ وَيَنْشَطُونَ في تحركاتِهِم : «إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ ، وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ ^(١) الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ^(٢) » .

وراحَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهْدِيءُ مِنْ رَوْعِهِمْ ويقولُ :
« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفَرِّجَنَّ اللهُ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِّدَّةِ ،
وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنَّ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ^(٣) آمَنًا ، وَأَنْ يَدْفَعَ اللهُ إِلَيَّ
مِفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ ، وَلِيُهْلِكََنَّ اللهُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَلِتُنْفِقَنَّ كُنُوزَهُمَا فِي
سَبِيلِ اللهِ » .

وقَهَقَهُ الْمُنَافِقُونَ وَوَجَدُوا الْفُرْصَةَ سَانِحَةً لِلشُّخْرِيَةِ مِنْ مُحَمَّدٍ
لِإِضْعَافِ الرُّوحِ الْمَعْنَوِيَّةِ لَدَى الْمُسْلِمِينَ . . وَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ :
أَيَعِدُّكُمْ مُحَمَّدٌ أَنْ يَفْتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَأَحْدُنَا الْيَوْمَ لَا
يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ ^(٤) ؟ ! وَلَمْ يَكْتَفِ الْمُنَافِقُونَ
بِزَعَزَعَةِ إِيمَانِ الْمُقَاتِلِينَ بَلْ رَاحُوا يَتَسَلَّلُونَ هَرَبًا الْوَاحِدُ تَلَوَّ الْآخِرِ
وَيَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ^(٥) .

(١) امتحن المسلمون في إيمانهم

(٢) سورة الأحزاب ١٠ - ١١ آيات متصلة

(٣) الكعبة

(٤) الخلاء لقضاء حاجته

(٥) عورة لا بد من الحفاظ عليها وسترها يعني أسرهم



عمرو بن ود من زعماء المشركين

فَنَزَلَ قَوْلَ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِيَفْضَحَهُمْ فَقَالَ تَعَالَى :

« وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ : إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ^(١) » .

نَشَطَ فُرْسَانُ الْمُشْرِكِينَ فَارْحُوا يَطُوفُونَ بِالْخَنْدَقِ يَبْحَثُونَ عَنْ مُضِيقٍ يَدْخُلُونَ مِنْهُ حَتَّى عَثَرُوا عَلَى مَكَانٍ ضَيِّقٍ أَغْفَلَ الْمُسْلِمُونَ حِرَاسَتَهُ فَعَبَّرَ مِنْهُ عَمْرُو بْنُ وَدٍّ وَكَانَ بَطْلًا مَعْرُوفًا بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ لَا يَقُومُ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ أَيًّا كَانَ ، شَدِيدَ الْاعْتِزَازِ بِنَفْسِهِ وَالثِّقَةِ فِيهَا وَعَلَى الرِّغْمِ مِنْ بُلُوغِهِ التَّسْعِينَ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ صَلْبًا قَوِيًّا شَدِيدَ الْبَأْسِ . . فلما عَبَرَ الْخَنْدَقَ رَاحَ يَنَادِي : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ . . فَتَقَدَّمَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ فَلَمَّا رَأَاهُ عَمْرُو سَخَرَ مِنْهُ وَقَالَ لَهُ : « لِمَ يَا بَنِي أَخِي ؟ فَوَاللَّهِ لَا أَحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ » .

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ . . فَحَمَى عِنْدَ ذَلِكَ عَمْرُو وَنَزَلَ مِنْ فَرَسِهِ فَعَقَرَهُ بِالسِّيفِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ فَسَدَدَ إِلَيْهِ ضَرْبَةً قَوِيَّةً اتَّقَاهَا عَلِيٌّ بِدُرْقَتِهِ ^(٢) وَأَصَابَ السِّيفُ رَأْسَ عَلِيٍّ فَشَجَّهَ ، فَتَقَهَّقَرَ لَهُ عَلِيٌّ فَجَعَلَ عَمْرُو يُلَاحِظُهُ بِضَرْبَاتٍ

(٢) درقه معناها : ترس (درع) من الجلد

(١) الأحزاب ١٠ - ١٧



وانتهزت يهود بني قريظة الفرصة وقرروا ان يُغيروا على المدينة ليلاً

سَرِيعَةً وَجَعَلَ عَلِيٌّ يَتَقَهَّقُ لَهُ وَيُحَادِثُهُ . . حَتَّى خِيلَ إِلَى عَمْرٍو أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَهَاجِمُهُ مِنْ خَلْفِهِ ، فَأَدَارَ رَأْسَهُ لِيَنْظُرَ فَعَاجِلَهُ عَلِيٌّ بِضَرْبَةٍ خَاطِفَةٍ أَطَاحَتْ سَاقَهُ عَنْ جَسَدِهِ فَأَمْسَكَ عَمْرٍو بِسَاقِهِ الْمَقْطُوعَةَ فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ عَلِيٍّ ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَتَرَنَحُ ^(١) بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ فَأَغْمَدَ فِيهِ السَّيْفَ حَتَّى قَتَلَهُ . . فَوَلَّى أَصْحَابُهُ هَارِبِينَ .

قَرَّرَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَقُومُوا بِهَجُومٍ مُكْتَفٍ فَعَبَّأُوا رِجَالَهُمْ وَفَرَّقُوا كِتَابَتَهُمْ وَكَانَ عَلَى رَأْسِ هَذَا الْهَجُومِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ . . وَاسْتَمَرَ الْقِتَالُ عَنِيفًا حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ وَلَمْ يَتِمَّكَنِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ وَلَا الْعَصْرِ وَلَا الْمَغْرِبِ وَلَا الْعِشَاءِ حَتَّى بَلَغَ الْإِعْيَاءُ مَدَاهُ ثُمَّ انْصَرَفَتِ الْأَحْزَابُ مِنْ شِدَّةِ مَا لَاقَتْ مِنْ مُقَاوَمَةِ الْمُسْلِمِينَ . . فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ بِلَا لَأَفَازَنْ وَأَقَامَ لِلظُّهْرِ وَأَقَامَ لِكُلِّ صَلَاةٍ إِقَامَةً ^(٢) .

وَانْتَهَزَتْ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ الْفُرْصَةَ وَقَرَّرُوا أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَى الْمَدِينَةِ لَيْلًا . . وَعَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ بِذَلِكَ . . وَكَانَتِ الْجِرَاحُ قَدْ أَثْخَنَتْ الْمُقَاتِلِينَ الْمُسْلِمِينَ . . وَفِي حَاجَةٍ مَاسَةٍ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الرَّاحَةِ كَى يَسْتَعِيدُوا طَاقَاتِهِمْ . . وَبَدَأَ الْيَهُودُ فِي مُحَاوَلَةٍ لَتَطْوِيقِ

(١) يتأرجح ويهتز ألما .

(٢) الاقامة أن يقول « الله أكبر الله أكبر، أشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله، حتى على الصلاة ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة .

المسلمينَ حَتَّى جَعَلُوهُمْ فِي مِثْلِ الْحَصَنِ وَأَخَذُوا بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْهُمْ . . . وَزُلْزِلَ الْمُسْلِمُونَ زَلْزَالًا شَدِيدًا وَكَادُوا يَفْقَدُونَ الْأَمَلَ فِي النِّجَاةِ . . . وَعِنْدَئِذٍ اتَّجَهَ سَيِّدُ الْخَلْقِ بِكُلِّ جَوَارِحِهِ ^(١) إِلَى رَبِّ - السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ « اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَاءَ لَا تُعْبِدُ اللَّهُمَّ ادْفَعْ عَنَّا شَرَّهُمْ وَأُنْصِرْنَا عَلَيْهِمْ لَا يَغْلِبُهُمْ غَيْرُكَ » .

وهروء المسلمونَ إلى رسولِ الله يسألونه ماذا يَقُولُونَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَصِيبِ . فَقَالَ لَهُمْ قُولُوا :
« اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا ، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا » واستمرَّ هذا الحصارُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ أَيَّامٍ .

وَجَاءَ الْفَرَجُ :

وَجَاءَ الْفَرَجُ عَلَى يَدِ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ فَقَدْ أَسْلَمَ فَجَاءَ وَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ :
- يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَلَمْ يَعْلَمْ قَوْمِي بِإِسْلَامِي فَمَرَّنِي بِمَا شِئْتَ .

فَقَالَ لَهُ :

- إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْ قَبِيلَةِ غَطَفَانَ ، فَلَوْ خَرَجْتَ فَخَذَلْتُ ^(٢) عَنَّا - إِنْ اسْتَطَعْتَ - كَانَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ بَقَائِكَ مَعَنَا . . . فَاخْرُجْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ .

(١) الجوارح : كل أعضاء الجسد (٢) خَوَّطَتِ الْقَوْمَ مَنَا





ثم خرج نعيم بن مسعود بعد ذلك متجهاً إلى قریش

فَخَرَجَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ . . وَكَانَتْ
عِلَاقَتُهُ بِهِمْ قَوِيَّةً فَقَالَ لَهُمْ :

يَا بَنِي قُرَيْظَةَ ، قَدْ عَرَفْتُمْ وَدَّيْ نَحْوَكُمْ وَحِرْصِي عَلَيْكُمْ . .
قَالُوا : قُلْ فَلَسْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ .

فَقَالَ : إِنَّ الْأَحْزَابَ وَمِنْهُمْ قَبِيلَةُ قُرَيْشٍ وَقَبِيلَةُ غَطَفَانَ لَيْسُوا
مِثْلَكُمْ . . فَهُمْ قَدْ حَضَرُوا لِقَتَالِ مُحَمَّدٍ وَلَكِنْ بُيُوتَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ
وَنِسَاءُهُمْ وَأَبْنَاءُهُمْ فِي أَمَانٍ ، فَسَوَاءٌ أَنْتَصَرُوا عَلَى مُحَمَّدٍ أَوْ لَمْ يَنْتَصِرُوا
فَسَيَعُودُونَ آمِنِينَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ . . أَمَا أَنْتُمْ فَتَسْكُنُونَ
الْمَدِينَةَ فِي جَوَارِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ فَإِنْ هُزِمَ الْأَحْزَابُ هَجَمَ عَلَيْكُمْ
الْمُسْلِمُونَ لِيَتَتَّقَمُوا مِنْكُمْ وَمِنْ خِيَانَتِكُمْ لِلْعُهُودِ .

قَالُوا : وَمَاذَا نَصْنَعُ وَقَدْ اتَّفَقْنَا مَعَ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ عَلَى الْغَدْرِ
بِمُحَمَّدٍ وَتَمْكِينِ الْأَحْزَابِ مِنَ الْمَدِينَةِ .

قَالَ لَهُمْ : إِذَنْ لَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْأَحْزَابِ حَتَّى تَأْخُذُوا عَشْرَةَ رِجَالٍ
مِنْهُمْ كَرِهِيْنَةٍ فَإِنْ تَمَّ النِّصْرُ سَلَّمْتُمُوهُمْ وَإِنْ حَدَثَ غَيْرُ ذَلِكَ
اضْطَرَّتِ الْأَحْزَابُ إِلَى الْعُودَةِ لِإِنْقَازِ رِجَالِهَا فَلَا يَتْرَكُوكُمْ لِمُحَمَّدٍ
وَصَحْبِهِ .

ثُمَّ خَرَجَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ بَعْدَ ذَلِكَ مُتَجِّهًا إِلَى قُرَيْشٍ ، وَقَالَ
لَهُمْ :



- قَدْ عَرَفْتُمْ وَدَى وَحُبَى لَكُمْ مَعَشَرَ قُرَيْشٍ كَمَا أَنْكُمْ تَعْرِفُونَ
خِلَافِي مَعَ مُحَمَّدٍ وَقَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ خَطِيرٌ أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغْكُمْوَهُ فَاكْتُمُوا
عَلَيَّ .

قالوا : تَحْدِثْ يَا نُعَيْمُ فَأَنْتَ عِنْدَنَا أَهْلُ ثَقَةٍ .

فَقَالَ : إِنْ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى نَقْضِهِمُ الْعَهْدَ مَعَ
مُحَمَّدٍ وَقَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَنْهُمْ نَدِمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَقَالُوا لَهُ :
هَلْ يُرْضِيكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رَجَالًا وَنُسَلِّمَهُمْ
إِلَيْكَ تَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ ، وَنَكُونُ مَعَكَ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَتَّى
تَقْتُلَهُمْ جَمِيعًا ؟

ثُمَّ تَرَكَ نُعَيْمٌ قُرَيْشًا وَقَدْ وَقَعَتْ فِي ذُحُولٍ تَامٍ وَاتَّجَهَ إِلَى قَبِيلَةِ
غَطَفَانَ وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . .

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ أَرْسَلَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ أَحَدَ
رَجَالِهِ لِيَقُولَ لَهُمْ :

- اسْتَعِدُّوا صَبِيحَةَ غَدٍ لِلْقِتَالِ حَتَّى نَنْتَهِيَ مِنْ مُحَمَّدٍ . .
فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ مَنْ يَقُولُ :

غَدًا يَوْمُ السَّبْتِ وَهُوَ يَوْمٌ لَا نَعْمَلُ فِيهِ . . وَنَحْنُ لَنْ نُقَاتِلَ
مَعَكُمْ إِلَّا إِذَا أُعْطِيتُمُونَا بَعْضَ رِجَالِكُمْ كَرِهْنَاءَ لِيَكُونُوا تَحْتَ أَيْدِينَا
فَإِنَّا نَخْشَى إِذَا غَلَبَكُمْ مُحَمَّدٌ أَنْ تَعُودُوا إِلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرَكُونَا لِمُحَمَّدٍ
وَرَجَالِهِ وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ .



أرسل الله عليهم رياحاً شديدة

فلما رَجَعَ الرسولُ وأخبرَهُمُ تَيَقَّنُوا من كَلامِ نَعِيمِ بنِ مَسْعُودٍ
فَرَدُّوا إِلَيْهِمُ الرُّسُولَ وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَا نُعْطِيكُمْ رَهْنًا أَبَدًا .

فَقَالَ بَنُو قَرِيظَةَ . . صَدَقَ - وَاللَّهِ - نَعِيمُ بنُ مَسْعُودٍ

وهكذا نَجَحَتْ الحُدُوعَةُ واختَلَفَتْ كَلِمَتُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَكَانَ مِنْ
فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى وإِلْهَامِهِ وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ الَّذِي غَلَتْ دِمَاءُ الكُفَّارِ
فِي عُرُوقِهِمْ وَانْعَدَمَتِ الثُّقَّةُ وَاهْتَزَّتِ الأعْصَابُ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
رِيحًا عَاتِيَةً فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ البَرْدِ حَالِكَةِ الظَّلَامِ اقْتَلَعَتْ خِيَامَهُمْ
وَكَفَّاتْ قُدُورَهُمْ وَأُطْفِئَتْ نِيرَانُهُمْ وَكَانَتْ الرِّيحُ تُصَفِّرُ بِطَرِيقَةِ
أَلْقَتِ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ فَقَامَ أَبُو سَفْيَانَ يَصِيحُ : يَا مَعْشَرَ
قُرَيْشٍ . . لَقَدْ هَلَكَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ وَكَادَتْ تَهْلِكُ الْإِبِلُ
وَالْخَيْلُ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَخَانَنَا يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ فَأَرْجَلُوا (١) إِنِّي
مُرْتَجِلٌ . .

ثُمَّ قَفَزَ عَلَى جَمَلِهِ . . وَضَرَبَهُ فَاَنْطَلَقَ عَائِدًا . . فَاَنْطَلَقَ الْقَوْمُ
خَلْفَهُ هَارِبِينَ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ الَّذِي أَصَابَهُمْ .

وَمَعَ إِشْرَاقَةَ الْفَجْرِ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَنْ حَوْلَهُ فَإِذَا بَقَايَا الْقُدُورِ
مَنْكِفَةً وَقَدْ غَطَّتْهَا الرَّمَالُ وَلَا أَثَرَ لِلْعَدُوِّ .

فَأَيَّقَنَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ . . ثُمَّ هَتَفَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَتَفَ أَصْحَابُهُ مِنْ وَرَائِهِ .

(١) يَقْصِدُ عَوْدًا إِلَى دِيَارِهِمْ .

« لا إله إلا الله وَحْدَهُ . . صَدَقَ وَعْدُهُ . . وَنَصَرَ عَبْدَهُ . .
وَأَعَزَّ جُنْدَهُ . . وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » .

وَنَزَلَ قَوْلُ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ آيَةُ ٢٥
« وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا » (١) .

وقال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ
زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠)
هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) (٢) .

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

سُبْحَانَ اللَّهِ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ إِنَّ تَارِيخَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ سِلْسِلَةٌ
مِّنْ نَّقْضِ الْعُهُودِ وَالْغَدْرِ بِالْمُسْلِمِينَ . . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَرْغَبُ فِي
الْعَيْشِ مَعَهُمْ فِي أَمَانٍ لَّأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ سَمَاوِيٍّ وَلَئِنَّ الْإِسْلَامَ
لَا يَفَرِّقُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ (لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ) (٣) فَالْمَفْرُوضُ إِلَّا

(٢) الْأَحْزَابُ : ٩ : ١١

(١) الْأَحْزَابُ : ٢٥

(٣) الْبَقَرَةُ : ٢٨٥

يَكُونُ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ خِلَافٌ مَعَ مُحَمَّدٍ . . الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ لِيُحَافِظَ عَلَى سِيرَةِ مُوسَى وَالتَّوْرَةِ وَعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ . . وَلَكِنْ بَاءَتْ كُلُّ مُحَاوَلَةٍ رَسُولِ اللَّهِ بِالْفَشْلِ . . وَبَعْدَ أَنْ وَلَّتِ الْأَحْزَابُ هَارِبَةً كَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ لِيَنْتَهِيَ مِنْهُمْ تَمَاماً إِذْ اثْبَتَتِ الْأَيَّامُ اسْتِحَالَةَ الْأَطْمِثْنَانِ لَهُمْ وَالْحَيَاةَ بِجَوَارِهِمْ .

« وَالْحَقُّ أَنَّ عَمَلَ بَنِي قُرَيْظَةَ لَمْ يَكُنْ غَدْرًا بِالْعَهْدِ فَقَطْ بَلْ كَانَ طَعْنًا مِنَ الْخُلَفِ لَمَّا أَدَارَ ظَهْرَهُ لَهُمْ وَوَثِقَ بِهِمْ . . فَمَاذَا يَكُونُ جَزَاءُ هَذَا الْغَدْرِ فِي عُرْفِ الْقَانُونِ الدَّوْلِيِّ ؟ وَمَاذَا يَكُونُ جَزَاؤُهُمْ فِي عُرْفِ الدِّينِ وَالْحَقِّ وَالْعَدَالَةِ ؟ ^(١) .

مَاذَا يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيمَنْ أَرَادُوا أَنْ يُبِيدُوا ^(٢) الْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً وَيَقْتُلُوهُ . . هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَأْمَنَ لَهُمْ وَيَتْرَكَهُمْ بِجَوَارِهِ يَعْرِفُونَ أَسْرَارَهُ وَيُذَيِّعُونَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ ؟ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَطْرُدَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ كَمَا فَعَلَ مِنْ قَبْلُ مَعَ بَنِي النَّضِيرِ فَرَاخُوا يُوَلِّبُونَ عَلَيْهِمُ الْقِبَائِلَ وَيُحْزِبُونَ الْأَحْزَابَ ؟

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَّرَ رَسُولُ اللَّهِ الْإِسْرَاعَ فِي مُبَاغِتَتِهِمْ ^(٣) فِي عَقْرِ دَارِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدُّوا لِلْحَرْبِ . فَمَا كَادَ يُصَلِّي الظَّهْرَ مِنْ يَوْمِهِ حَتَّى أَمَرَ بِلَا لَّا يَنَادِي فِي النَّاسِ قَائِلًا :

(١) صور من حياة الرسول - أمين دويدار (٢) فناء - الانتهاء من حياتهم

(٣) مفاجأتهم





فاندفع المسلمون يحملون سلاحهم ويتجهون إلى يهود بني قريظة

« مَنْ كَانَ سَامِعًا مَطِيعًا فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ »

فاندفع المسلمون يحملون سلاحيهم ويتجهون إلى يهود بني قريظة ولم يأت العشاء حتى كان المسلمون يحاصرونهم بكامل عديهم وعدتهم ثلاثة آلاف راجل^(١) وستة وثلاثون فارساً .

ودفع رسول الله اللواء^(٢) إلى علي بن أبي طالب . . وحاصروهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة . . حاول اليهود من خلالها أن يتناولوا بالشتائم من فوق حصونهم . . ولكن المسلمين لم يردوا وقالوا : السيف بيننا وبينكم .

وطالب اليهود أن يُسمح لهم بالخروج من المدينة ومعهم النساء والأطفال فرفض رسول الله صلى عليه وسلم لما يُمكن أن يفعلوه ضد الإسلام عندما يخرجون .

وظل يهود بني قريظة في مفاوضات وجدل مع رسول الله حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر برجالهم فكثفوا بالحبال ونحووا ناحية وأخرج النساء والذرية فجعلوا في ناحية أخرى . . وعندئذ تدخل رجال الأوس في محاولة أن يعامل بني قريظة حلفاء الأوس كما عامل بني قينقاع حلفاء الخزرج وأن يقبل فيهم شفاعتهم كما سبق وقبل شفاعته ابن أبي في بني قينقاع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) يمشى على رجليه (٢) العلم



وحمل سعد على حمار والتف حوله اليهود

« أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ أَجْعَلَ بَيْنِي وَبَيْنَ حُلَفَائِكُمْ
رَجُلًا مِنْكُمْ » ؟

قالوا : بلى

قال : « فَقُولُوا لَهُمْ فَلْيَخْتَارُوا مَنْ شَاءُوا » .

فاخْتَارَ الْيَهُودُ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ سَيِّدَ الْأَوْسِ . . . وَكَانَ سَعْدٌ
جَرِيحًا مِنْ سَهْمٍ أَصَابَهُ فِي الْخَنْدَقِ وَكَانَتْ تُعَالِجُهُ فِي خِيْمَةٍ إِحْدَى
الْمَرْضَاتِ تُسَمَّى (رُفَيْدَةَ) .

وَحَمَلَ سَعْدٌ عَلَى حِمَارٍ وَالتَفَ حَوْلَهُ الْيَهُودُ يُوصُونَهُ بِالرَّحْمَةِ
وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ فَلَمَّا أَثْقَلُوا عَلَيْهِ قَالَ :
« لَقَدْ آتَى لِسَعْدٍ أَلَّا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ » .

وَلَمَّا وَصَلَ سَعْدٌ إِلَى مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
قَوْمُوا لِسَيِّدِكُمْ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى سَعْدٍ وَقَالَ : « احْكُمْ فِيهِمْ يَا سَعْدُ » .

فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ بِالْحُكْمِ

قال : قَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَحْكُمَ فِيهِمْ

فَنَظَرَ سَعْدٌ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَقَالَ : أَتَرْضَوْنَ حُكْمِي ؟ قالوا :

نَعَمْ

قال : فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ ، وَتُقَسَّمُ الْأَمْوَالُ ، وَتُسَبَّى

الدَّرَارِي وَالنِّسَاءُ .



فقال رسول الله : « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ
سَبْعِ سَمَوَاتٍ »

وهكذا جَاءَ الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ . . وَهُوَ الْجَزَاءُ الَّذِي
يَحْكُمُ بِهِ الدِّينُ وَيَحْكُمُ بِهِ الْعَقْلُ ، وَيَحْكُمُ بِهِ الْقَانُونُ قَدِيمُهُ
وَحَدِيثُهُ

وَفِي هَزِيمَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ يَقُولُ تَعَالَى :

« وَأَنْزَلَ الدِّينَ ظَاهِرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(١) مِنْ
صَيَاصِيهِمْ ^(٢) وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ^(٣) .

(١) اليهود

(٢) حصونهم

(٣) سورة الأحزاب : ٢٦-٢٧

المناوشات (١)

بَعْدَ هَزِيمَةِ الْأَحْزَابِ وَهَزِيمَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ . . هَدَأَتِ الْأُمُورُ إِلَى حَدٍّ مَا وَانْتَشَرَ بَيْنَ النَّاسِ خَبَرُ قُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَأْيِيدُ السَّمَاءِ لَهُمْ . . وَسَرَى فِي نُفُوسِهِمْ أَنَّ دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ دَعْوَةً حَقًّا . . وَرَغِبَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْبَدَوِ (٢) فِي أَنْ يَنْضَمُوا إِلَى مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ . . وَرَاحَ الْبَعْضُ مِنْهُمْ يَتَقَرَّبُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَصْبَحَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَدِينُهُ الْجَدِيدُ حَدِيثَ الْكَثِيرِينَ وَبِخَاصَّةِ الْقَبَائِلِ الْبَدَوِيَّةِ .

وَتَقَابَلَ أَطْفَالُ الْمَدِينَةِ وَرَاحُوا يَلْعَبُونَ فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِصَاحِبِهِ :
- لَقَدْ انْتَهَتْ الْحُرُوبُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَنَلْعَبُ وَنَلْهُو كَثِيرًا .
فَرَدَّ أَحَدُهُمْ وَكَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْعُمَرِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ :

- نَعَمْ لَقَدْ انْتَصَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَهَدَأَتِ الْأُمُورُ وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نَنْظَلَ
أَيْقَاطًا لَا نُلْقَى السِّلَاحَ قَطًّا . . فَأَعْدَاؤُنَا كَثِيرُونَ يَتَرَبَّصُونَ بِنَا .

(١) مجرد مضايقات لا ترقى إلى المعارك الحربية

(٢) الذين يعيشون في الصحراء



وتقابل أطفال المدينة وراحوا يلعبون

وَقَالَ ثَالِثٌ :

لَأَبْدَّ أَنْ نَكُونَ عَلَى أَهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :
« وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ
عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ »

وَأَكْمَلَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ الْآيَةَ فَقَالَ :

« وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ » (٦٠ الأنفال)
وَقَالَتْ طِفْلةٌ لَا تَتَجَاوَزُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ :

لَا بُدَّ أَنْ نُشْعِرَ أَعْدَاءَنَا دَائِمًا بِأَنَّنا قُوَّةٌ قَادِرَةٌ عَلَى رَدِّ أَيِّ عُدْوَانٍ
وَتَأْدِيبِ الْمُعْتَدِينَ . . . حَتَّى لَا يُفَكِّرَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ الْيَهُودِ فِي
غَزْوِ الْمَدِينَةِ .

وَقَالَ طِفْلٌ رَابِعٌ :

أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَنَا . . . وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُؤَيِّدُ الْحَقَّ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ فَلِمَ إِذَا
إِذْنُ كُلِّ هَذَا التَّأَهُبِ إِنَّنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى الرَّاحَةِ وَاللَّهْوِ وَاللَّهُ هُوَ
الْحَافِظُ .

فَرَدَّ عَلَيْهِ الثَّانِي :

— إِنَّ الْإِسْلَامَ عَلَّمَنَا أَلَّا نَتَوَاطَلَ (١) . . . فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَكُونُ مَعَ

(١) تَوَاطَلَ الْقَوْمُ : اعْتَمَدَ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ

الْغَافِلِينَ أَبَدًا وَلَا يُؤَيِّدُ الْمُتَوَكِّلِينَ الَّذِينَ يَرْجُونَ مِنْهُ النَّصْرَ وَالتَّيِيدَ
دُونَ أَنْ يَأْخُذُوا بِأَسْبَابِ الْقُوَّةِ مَا اسْتَطَاعُوا .

وَفِي نَفْسِ هَذِهِ اللَّحْظَةِ . . نَادَى مُؤَذِّنٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ أَيُّهَا
الْمُسْلِمُونَ لَا بُدَّ مِنَ الاسْتِعْدَادِ وَإِرْسَالِ السَّرَايَا لِتُرْهَبَ أَعْدَاءُنَا مِنَ
الْعَرَبِ وَالْبَدُوِّ وَالْيَهُودِ جَمِيعًا . وَلِنَأْخُذَهُمْ فَجَاءَةً قَبْلَ أَنْ يَتَجَمَّعُوا
وَيُضْبِحُوا قُوَّةً .

وَهَكَذَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ سَرِيَّةَ ضَرْبَةٍ . ثُمَّ بَنَى لِحْيَان . . ثُمَّ
سَرِيَّةَ ذِي قَرْدٍ ثُمَّ سَرِيَّةَ ذِي الْقَصَّةِ ثُمَّ سَرِيَّةَ الْجُمُومِ وَسَرِيَّةَ الْعَيْصِ
. . . وَغَيْرَهَا . . . وَغَيْرَهَا . . . ، وَكَانَتْ كُلُّهَا مُجَرَّدَ مُنَاقَشَاتٍ لَمْ يَكُنْ
الْهَدَفُ مِنْهَا الْبَدْءُ بِالْعُدْوَانِ . . لِأَنَّ الْعُدْوَانَ مَبْدَأٌ لَا يَقْرَهُهُ الْإِسْلَامُ
وَلَا يَرْضَاهُ . يَقُولُ تَعَالَى :

« وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » ١٩٠ البقرة .

فَالْغَرَضُ مِنْ هَذِهِ السَّرَايَا هُوَ رُدُّ الْعُدْوَانِ الَّذِي قَدْ يَبْدَأُ بِهِ
الْعَدُوُّ .

. . . فَمَا كَادَتْ السَّنَةُ السَّادِسَةُ مِنَ الْهَجْرَةِ تَنْتَهِي حَتَّى اسْتَقَرَّتْ
الْأُمُورُ وَصَارَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَقُومَ عِلَاقَاتُ حُسْنِ جِوَارٍ مَعَ الْعَرَبِ
الْبَدُو .

(١) السرية معناها : قطعة من الجيش ، ما بين خمسة أنفس إلى ثلاث مئة ، أو هي من الخيل
نحو أربع مئة ، والجمع سرايا .



بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية ضربة ثم بنى حيان . .



وساق معه الهدى وكان سبعين بدنه

صُلْحُ الْحَدِيثِ

رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ . . . فاستَبَشَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَنَ عَلَى أَصْحَابِهِ هَذِهِ الرُّؤْيَا . . . وَقَالَ إِنْ رُؤِيَ الْأَنْبِيَاءُ حَقٌّ وَلَا بُدَّ أَنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لِلْمُسْلِمِينَ . . . وَأَمْتَلَأَتْ عُيُونُ الْمُسْلِمِينَ بِالْذُّمُوعِ شَوْقًا إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَحَيْنًا إِلَى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ .

وَقَرَّرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِيَامَ بِعُمْرَةٍ وَلَمْ لَا وَالْأَمْنُ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ كَسْرِ جَنَاحِ الْمُنَافِقِينَ .

وَحَتَّى يَقْطَعَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى قُرَيْشٍ أَى حُجَّةٍ وَيُؤَكِّدَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا أَنَّهُ أَتَى هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَى الْبَيْتِ زَائِرِينَ مُعْتَمِرِينَ . . . خَرَجَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مُعْتَمِرًا وَدَعَا الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ الَّتِي تَمَّ الْإِتْفَاقُ مَعَهَا عَلَى حُسْنِ الْجَوَارِ إِلَى الْعُمْرَةِ مَعَهُ . . . فَخَافَتِ الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ وَظَنَّتْ أَنَّ الْحَرْبَ قَائِمَةٌ لَا مَحَالَةَ فَاعْتَذَرَ أَكْثَرُهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ وَتَهَرَّبُوا مِنَ الْإِنْضِمَامِ إِلَيْهِ . . . فَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ (أَلْفٌ وَخَمْسَمِائَةٌ) وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ وَكَانَ سَبْعِينَ بَدَنَةً ^(١) وَأَمَرَهُمُ الرَّسُولُ بَعْدَ إِخْرَاجِ السِّيُوفِ مِنْ أَغْمَادِهَا

(١) تَقَالِ عَلَى الْجَمَلِ وَعَلَى الْبَقَرَةِ الَّتِي تُنَحَرُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ



بشر بن سفیان یستقی أخبار قریش

وَرَكِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاقَتَهُ الْقَصْوَاءَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى « ذِي الْحَلِيفَةِ » عَلَى نَحْوِ سِتَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَدَعَا بِالْبُذْنِ ^(١) وَأَلْبَسَهَا الْقَلَائِدَ عَلَامَةً عَلَى أَنَّهَا سَتُهْدَى إِلَى اللَّهِ . . ثُمَّ أَحْرَمَ ^(٢) وَأَحْرَمَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ بِالْعُمْرَةِ وَرَاحُوا جَمِيعًا يَلْبُونَ .

« لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ » فَأَكَّدَ هَذَا النِّدَاءُ حُسْنَ نِيَّتِهِمْ .

أَمَّا قُرَيْشٌ فَعِنْدَمَا وَصَلَهَا الْخَبْرُ أَخَذَتْهَا حِمِيَّةُ ^(٣) الْجَاهِلِيَّةِ وَصَمَّمَتْ عَلَى أَلَّا تَسْمَحَ لِمُحَمَّدٍ بِالْعُمْرَةِ مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ أَعَدَّ الْعُدَّةَ فَأَرْسَلَ بَشَرَ بْنَ سُفْيَانَ لِيَسْتَقِيَ لَهُ الْأَنْبَاءَ فَعَلِمَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى رَأْسِ مَائَتَيْنِ مِنْ فُرْسَانِ قُرَيْشٍ خَرَجُوا لِلْمَلَاقَاةِ مُحَمَّدٍ وَعَسَكُرُوا فِي بَلَدَجٍ « بِالْقُرْبِ مِنْ مَكَّةَ » وَوَضَعُوا عَلَى الْجِبَالِ عُيُونًا يَرِاقِبُونَ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ .

فَانْطَلَقَ بَشَرُ بْنُ سُفْيَانَ وَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . « يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ . . قَدْ أَكَلَتْهُمْ الْحَرْبُ . مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلُّوا ^(٤) بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ ، فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا . . وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَآخَرِينَ ؟

(٢) الاحرام معناه

(١) جمل أو بقرة تنحر في سبيل الله

(٣) حمية الجاهلية : أنفة طيش وغرور (في منع المسلمين من دخول المسجد الحرام عام

(٤) أفسحوا

الحديثة .



وبعد يومين أرسلت قريش بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ ومعه نفر من خُزَاعِهِ

والله لا أزالُ أَجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، حَتَّى يُظْهِرَهُ
اللَّهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ ^(١) .

لَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوَدُّ الْحَرْبَ قَطُّ وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى
أَنْ يَجْعَلَ رِحْلَتَهُ سَلَمِيَّةً . . وَلَكِنْ مَاذَا يَفْعَلُ وَقَدْ جَمَعَتْ قُرَيْشُ
رِجَالَهَا لِقِتَالِهِ ؟ . .

فَكَرَّرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَجَنَّبَ مُوَاجَهَتَهُمْ وَاتَّخَذَ طَرِيقًا
آخَرَ كَانَ شَدِيدَ الْوُغُورَةِ فَشَعَرَ الْجَمِيعُ بِشِدَّةِ الْإِرْهَاقِ وَعِنْدَمَا
وَصَلُوا إِلَى سَهْلٍ عِنْدَ آخِرِ الْوَادِي بَرَكَّتِ الْقُصُوءُ . . وَحَاوَلَ
الْبَعْضُ أَنْ يُجْبِرَهَا عَلَى السَّيْرِ وَلَكِنَّهَا ظَلَّتْ قَابِعَةً فَقَالُوا : حَرَنْتُ ^(٢)
الْقُصُوءَ . . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهِ مَا حَرَنْتُ وَلَكِنْ
حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ - أَيْ مَنَعَهَا الَّذِي مَنَعَ الْفِيلَ مِنْ
هَذْمِ الْكَعْبَةِ - أَيْ مَنَعَهَا اللَّهُ لِحِكْمَةٍ مَا - وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا
تَدْعُونِي قُرَيْشُ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونَنِي فِيهَا صِلَةَ الرَّحِمِ ،
وَتَعْظِيمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ ، إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَنْزِلُوا
حَيْثُ كَانُوا .

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ أَرْسَلَتْ قُرَيْشُ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَبِيلَةِ
خُزَاعَةَ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ عَنْ سَبَبِ مَجِيئِهِ . . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) السَّالِفَةُ : جَانِبُ الْعُنُقِ ، وَانْفِرَادُهَا كِنَايَةً عَنِ الْمَوْتِ .

(٢) حَرَنْتُ : حَرَنْتُ الدَّابَّةَ أَيْ امْتَنَعْتُ عَنِ السَّيْرِ .

وسلّم « إِنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ . . وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ . . فَإِنْ شَاءَتْ قُرَيْشٌ مَا دَ دُنَاهُمْ مُدَّةً وَخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَإِنْ أَبَوْا^(١) . . فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفِرَ دَسَالِفَتِي »^(٢)

وَعَادَ الرُّسُولُ وَأَخْبَرَ قُرَيْشًا بِالْخَبَرِ وَلَكِنَّهُمْ أَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا .

فَعَرَضَ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ سَيِّدُ ثَقِيفٍ وَكَانَ رَجُلًا حَازِمًا حَكِيمًا أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَيُحَدِّثُهُ . . وَعِنْدَمَا التَقَى مَعَهُ قَالَ لَهُ :
« إِنِّي تَرَكْتُ قَوْمَكَ قَدْ اسْتَعَدُّوا لِقِتَالِكَ إِنْ دَخَلْتَ مَكَّةَ . . وَفِي أَثْنَاءِ حَدِيثِهِ كَانَ يَمُدُّ يَدَهُ يَتَنَاوَلُ لِحْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَيُدَاعِبُهَا جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ عِنْدَ الْمُلَاطَفَةِ وَالرَّغْبَةِ فِي التَّوَاصُلِ . . وَكَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَاقِفًا وَمَعَهُ سَيْفٌ عِنْدَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ فَكَلَّمَهَا مَدَّ عُرْوَةَ يَدَهُ إِلَى لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ . . ضَرَبَ الْمُغِيرَةُ يَدَهُ بِكَعْبِ السَّيْفِ وَهُوَ يَقُولُ : أَكْفُفْ يَدَكَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ قَبْلَ أَلَّا تَصِلَ إِلَيْكَ^(٣) فِيرُدُّ عَلَيْهِ عُرْوَةَ مُتَضَايِقًا : وَيَحْكُ . مَا أَفْطَعَكَ وَمَا أَغْلَظَكَ . . فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) أَبَوْا : رَفُضُوا .

(٢) أَى حَتَّى أَمُوتَ فِي سَبِيلِ الدَّفَاعِ عَنْ غَرَضِي ، وَالسَّالِفَةُ : جَانِبُ الْعُنُقِ .

(٣) أَى قَبْلَ أَنْ أَفْطَعَهَا .



وَانْصَرَفَ عُرْوَةٌ وَقَدْ رَأَى بِعَيْنَيْهِ حُبَّ الْمُسْلِمِينَ لِرُسُولِهِمْ فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ وَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنِّي جِئْتُ كِسْرَى فِي مُلْكِهِ ، وَقَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ ، وَالنَّجَاشِيَّ فِي مُلْكِهِ ، وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا رَأَيْتُ مَلِكًا فِي قَوْمٍ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي أَصْحَابِهِ » وَنَصَحَهُمْ بِالِاذْعَانِ لِرَأْيِ مُحَمَّدٍ مِنْعًا لِرَأَقَةِ الدَّمَاءِ .

فَلَمْ يَسْتَمِعِ الْقَوْمُ لِرَأْيِ عُرْوَةٍ
فَقَالَ الْحُلَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ سَيِّدُ الْأَحَابِيشِ : دَعُونِي آتِهِ . .
فَقَالُوا : « ائْتِهِ »

فَلَمَّا عَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّ الْحُلَيْسَ قَادِمٌ إِلَيْهِ . . قَالَ : هَذَا حُلَيْسٌ مِنْ قَوْمٍ يُعْظَمُونَ الْهَدْيَ ^(١) فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ .
فَبَعَثُوهُ وَاسْتَقْبَلُوهُ مُلَبِّينَ وَالْهَدْيُ أَمَامَهُمْ . . فَلَمَّا رَأَى الْهَدْيَ وَعَلَيْهِ الْقَلَائِدُ وَسَمِعَ التَّلْبِيَةَ . . رَجَعَ مُسْرِعًا إِلَى قُرَيْشٍ وَقَالَ مُعَاتِبًا :

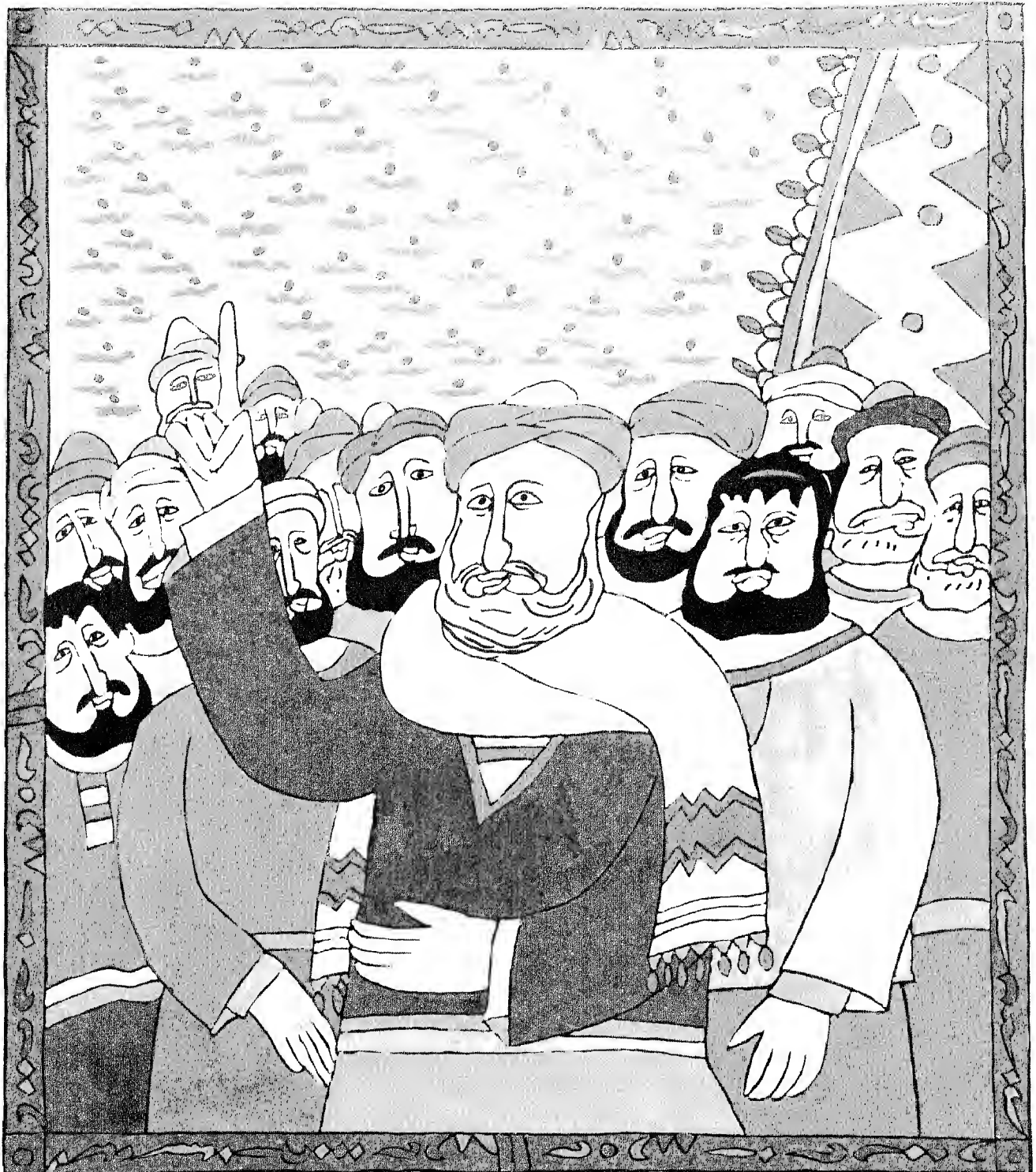
أَمَّا وَاللَّهِ مَا خَالَفْنَاكُمْ عَلَى أَنْ تَصُدُّوا عَنْ بَيْتِ اللَّهِ مَنْ جَاءَهُ مُعَظَّمًا لِحُرْمَتِهِ ، مُؤَدِّيًّا لِحَقِّهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ^(٢) لَنْتَرْكَنَهُ يَغْتَمِرُ أَوْ لَا نَفِرَنَّ ^(٣) بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ .

(٢) يقسم بالله العظيم .

(١) الذبح في سبيل الله وإطعام المساكين .

(٣) النفر : القوم يسرعون إلى أمر أو قتال .





يا معشر قريش ما رأيتم ملكاً في قومٍ مثل محمد من أصحابه

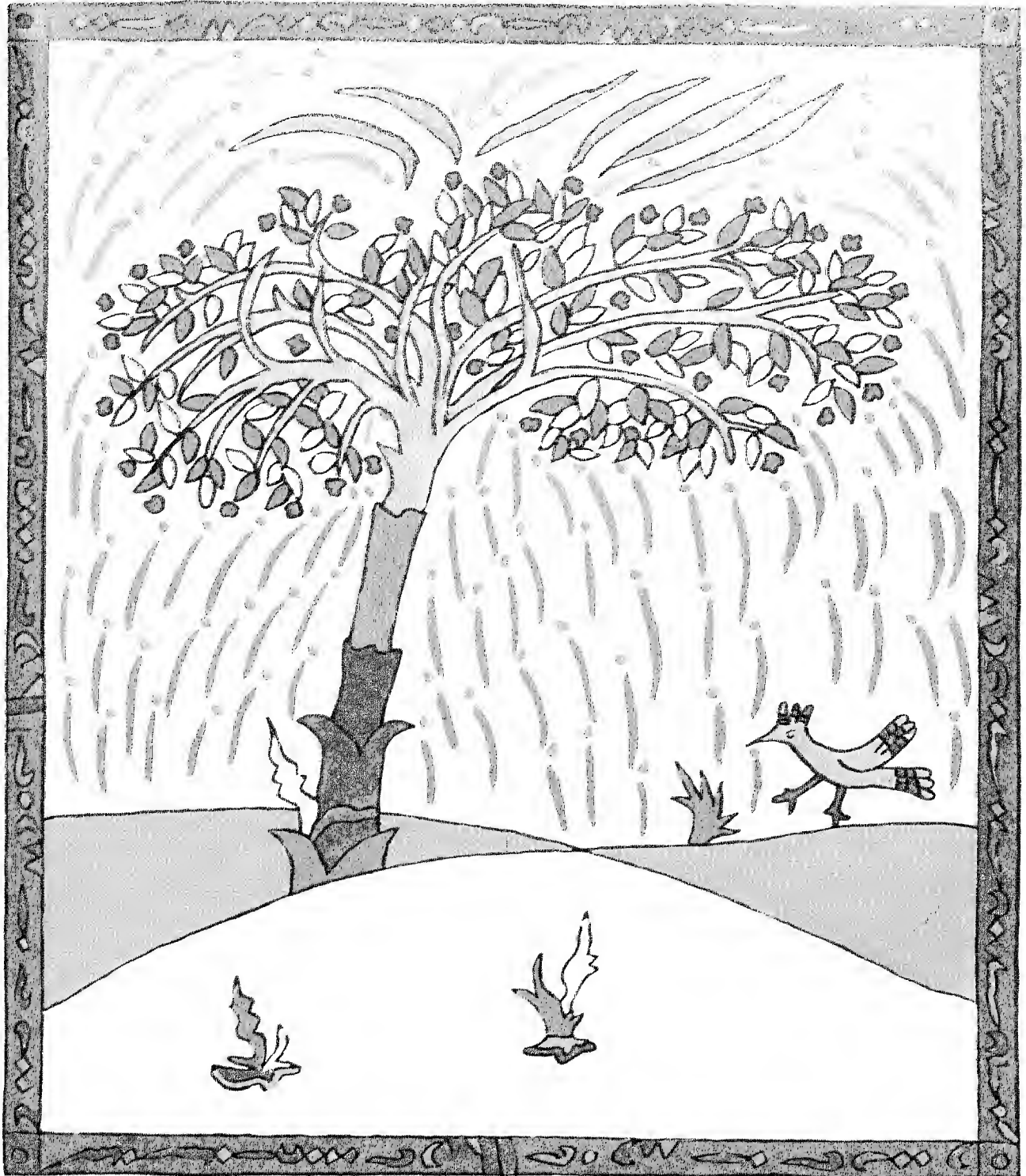
وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ أَرْسَلَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ خِرَاشُ بْنُ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيُّ وَلَكِنَّهُمْ أَسَاؤُوا اسْتِقْبَالَهُ وَعَقَرُوا ^(١) جَمَلَهُ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِ لَوْلَا أَنَّ مِنْهُمْ الْحُلَيْسُ سَيِّدُ الْأَحَابِيشِ . . وَعِنْدَمَا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ بِهَذَا الْغَدْرِ كَظَمَ غَيْظَهُ وَغَفَرَ لَهُمْ . . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَحَاوَلَ إِقْنَاعَهُمْ بِشَتَى الطَّرِيقِ بِأَنَّ الْهَدَفَ نَيْلٌ - وَالنِّيَّةُ سَلِيمَةٌ . تَأَخَّرَ عُثْمَانُ بَيْنَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَشَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ قَتَلَ حَتَّى وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ . . الَّذِي لَمْ يَرَبُدَّ مِنْ قِتَالِهِمْ فَدَعَا الْمُسْلِمِينَ إِلَى مُبَايَعَتِهِ عَلَى الْقِتَالِ وَضَرَبَ شِمَالَهُ يَمِينِهِ وَقَالَ : « هَذِهِ لِعُثْمَانَ » .

وَرَغِمَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْحَرْبِ فَقَدْ امْتَلَأُوا حِمَاسًا وَرَغْبَةً فِي الْقِتَالِ حَتَّى يَدْخُلُوا مَكَّةَ وَيُمَارِسُوا شَعَائِرَهُمْ . . وَكَانَتْ يَبْعَتُهُمْ تَحْتَ شَجَرَةٍ . . فَزَلَ قَوْلُ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا . وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » سورة الفتح ١٨ / ١٩ .

وَعِنْدَمَا عَلِمَتْ قُرَيْشُ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ ثَابَتْ إِلَى رَشْدِهَا فَرَاحَتْ تُعِيدُ النَّظَرَ فِي مَوْقِفِهَا . . فَأَرْسَلَتْ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَمَعَهُ نَقَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِلْمُفَاوَضَةِ عَلَى الصُّلْحِ الَّذِي يَنْصُصُ عَلَى أَنْ يَعُودَ

(١) أَيْ قَطَعُوا مَخَاصِيهَ (ذَبَحُوهُ)





وكانت بيعتهم تحت شجرة

المُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا يُؤَدُّوا الْعُمْرَةَ هَذَا الْعَامَ ، إِبْقَاءً عَلَى سُمْعَةِ قُرَيْشٍ وَحِفْظاً لِكِرَامَتِهَا . . . وَعَلَى أَنْ يُسَمَّحَ لَهُمْ بِالْعُمْرَةِ فِي الْعَامِ الْقَادِمِ وَتَتْرَكَ قُرَيْشُ مَكَّةَ لِهَمِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . وَعَلَى أَنْ يَتَهَادَنَ الْفَرِيقَانِ عَشْرَ سِنِينَ . . . وَأَنْ يَرُدُّوا إِلَى قُرَيْشٍ مَنْ جَاءَهُمْ مِنْهَا وَلَا تَرُدَّ قُرَيْشٌ إِلَيْهِمْ مَنْ جَاءَهَا مِنْهُمْ وَأَنْ يَكُونَ التَّحَالُفُ حُرّاً خِلَالَ هَذِهِ الْهُدْنَةِ ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يُخَالَفَ مُحَمَّدًا مِنْ - الْعَرَبِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُخَالَفَ قُرَيْشًا فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ .

وَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ هَذَا الصُّلْحَ عَلَى مَا فِي ظَاهِرِهِ مِنْ ظُلْمٍ دُونَ الْعَوْدَةِ إِلَى مَشُورَةِ الْمُسْلِمِينَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ . . . فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذَا الظُّلْمِ الظَّاهِرِ وَرَاحُوا يَتَحَدَّثُونَ . . .

- كَيْفَ يَقْبَلُ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ تَرُدَّ مَنْ جَاءَنَا مُسْلِمًا إِلَى قُرَيْشٍ وَلَا تَرُدَّ قُرَيْشٌ مَنْ جَاءَهَا مِنَّا وَقَدْ عَادَ إِلَى الشِّرْكِ ؟
وَعِنْدَئِذٍ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَتَمَالَكُ نَفْسَهُ لِأَبِي بَكْرٍ :
- يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ؟

قَالَ : « بَلَى » .

قَالَ : أَوَلَسْنَا بِمُسْلِمِينَ ؟

قَالَ : « بَلَى » .

قَالَ : « أَوَلَيْسُوا بِمُشْرِكِينَ ؟ »

قَالَ : « بَلَى » .

قَالَ : فَعَلَامَ تَرْضَى بِهَذَا الْمَوْقِفِ الدُّونِ ^(١) فِي دِينِنَا .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُنَبِّهًا :

أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ نَعْصِيَ رَأْيَهُ . فَلْنُطِيعْ رَأْيَهُ

حَتَّى الْمَوْتِ ، فَوَ اللَّهِ إِنَّهُ لَعَلَى الْحَقِّ . . .

وَلَكِنْ عُمَرَ لَمْ يَقْتِنِعْ وَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَسْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ ؟

قَالَ : بَلَى .

قَالَ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟

قَالَ : بَلَى .

قَالَ : فَعَلَامَ نُعْطَى الدِّينَةَ ^(١) فِي دِينِنَا إِذَنْ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ

يُضَيِّعَنِي .

ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : قُومُوا فَاَنْحَرُوا وَاخْلِقُوا

وَحِلُوا ^(٣) . فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ . فَرَدَّدَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ

يَفْعَلُوا ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَهُوَ فِي شِدَّةِ الْغَضَبِ . . فَقَالَتْ مَا

(١) الدُّون : الخسيس الحقيق (٢) الدنية : النقيصة والعيب

(٣) تَحَلَّلُوا مِنْ أَحْرَامِكُمْ . واحل اي خرج في إحرامه مجازله ما كان ممنوعا .

شَأْنُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : « هَلَكَ الْمُسْلِمُونَ . أَمَرْتُهُمْ فَلَمْ يُطِيعُوا » .

وَضَرَبْتُ أُمَّ سَلَمَةَ الْمَثَلِ الْأَعْلَى لِلزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُهْدِيءُ مِنْ زَوْجِهَا وَتَعْذُرُ النَّاسَ فَقَالَتْ لَهُ بِلُطْفٍ وَمَرْحَمَةٍ :

« يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا تَلُمَّهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ دَخَلَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَرُجُوعُهُمْ بَعْدَ إِحْرَامِهِمْ بِلَا عُمْرَةٍ . . وَخِيَبَةُ أَمَلِهِمْ فِي فَتْحِ مُبِينٍ كُلِّ ذَلِكَ أَثَرٌ فِي نَفْسِهِمْ . . ثُمَّ إِنَّ الْمَعَاهِدَةَ وَمَا فِي ظَاهِرِهَا مِنَ الْإِجْحَافِ وَالظُّلْمِ لِأَمْرٍ عَسِيرٍ عَلَيْهِمْ . . وَلَكِنْ قُمْ وَلَا تُكَلِّمْ أَحَدًا وَانْحَرِ بَدَنَةً وَاحِلِقْ رَأْسَكَ . . وَسَيَتَّبِعُكَ النَّاسُ بِإِذْنِ اللَّهِ .

فَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحَرَ بَدَنَةً وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَ لَهُ فَلَمَّا رَأَى - الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ اسْتَحْوَا أَنْ يُخَالِفُوا سَيِّدَ الْخَلْقِ فَقَامُوا وَنَحَرُوا وَحَلَقُوا وَقَصَّروا وَالْحَيْرَةُ تَتَمَلَّكُهُمْ فِي أَمْرِ هَذَا الصُّلْحِ .

وَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ خَيْرَةَ الْقَوْمِ اجْتَمَعَ بِهِمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

— يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ بَشَّرْتَنَا بِدُخُولِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَلِمَ إِذَا لَمْ

نَدْخُلْهُ؟

فَقَالَ :

أَكُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَهُ هَذَا الْعَامَ؟

فَقَالُوا : لَا .

فَقَالَ : « فَإِنَّكُمْ سَتَدْخُلُونَهُ وَتَطُوفُونَ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .
فَقَالَ آخَرُ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَقْبَلُ أَنْ نَرُدَّ إِلَى الْكُفَّارِ مَنْ جَاءَنَا مُسْلِمًا وَلَا
يَرُدُّونَ إِلَيْنَا مَنْ جَاءَهُمْ مُرْتَدًّا ؟
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَلَا رَدَّهَ اللَّهُ ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ فَارْدَدْنَاهُ
فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا .

بَعْدَ ذَلِكَ أَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ بِضْعَةَ عَشَرَ
يَوْمًا . . ثُمَّ انْصَرَفَ عَائِدًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَيْنَمَا هُوَ يُنَاجِي رَبَّهُ فِي
الطَّرِيقِ لَيْلًا . . أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ سُورَةَ الْفَتْحِ فَجَمَعَ الْمُسْلِمِينَ
وكَانَتْ قُلُوبُهُمْ كَسِيرَةٍ ^(١) وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ مَا نَزَلَ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ .

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ
نَصْرًا عَازِيزًا » ١ : ٢ سورة الفتح

اسْتَبَشَرَ الْمُسْلِمُونَ وَتَيَقَّنُوا مِنْ أَنَّ مَا حَدَّثَ لَهُمْ فِي صَلَاحِهِمْ
وَرِضْوَانِ بَأْمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا أَيْنَ يَكُونُ هَذَا الْفَتْحُ
وَلَا مَتَى وَلَا كَيْفَ ؟ .

(١) حزينه مكسورة الخاطر

الفتح

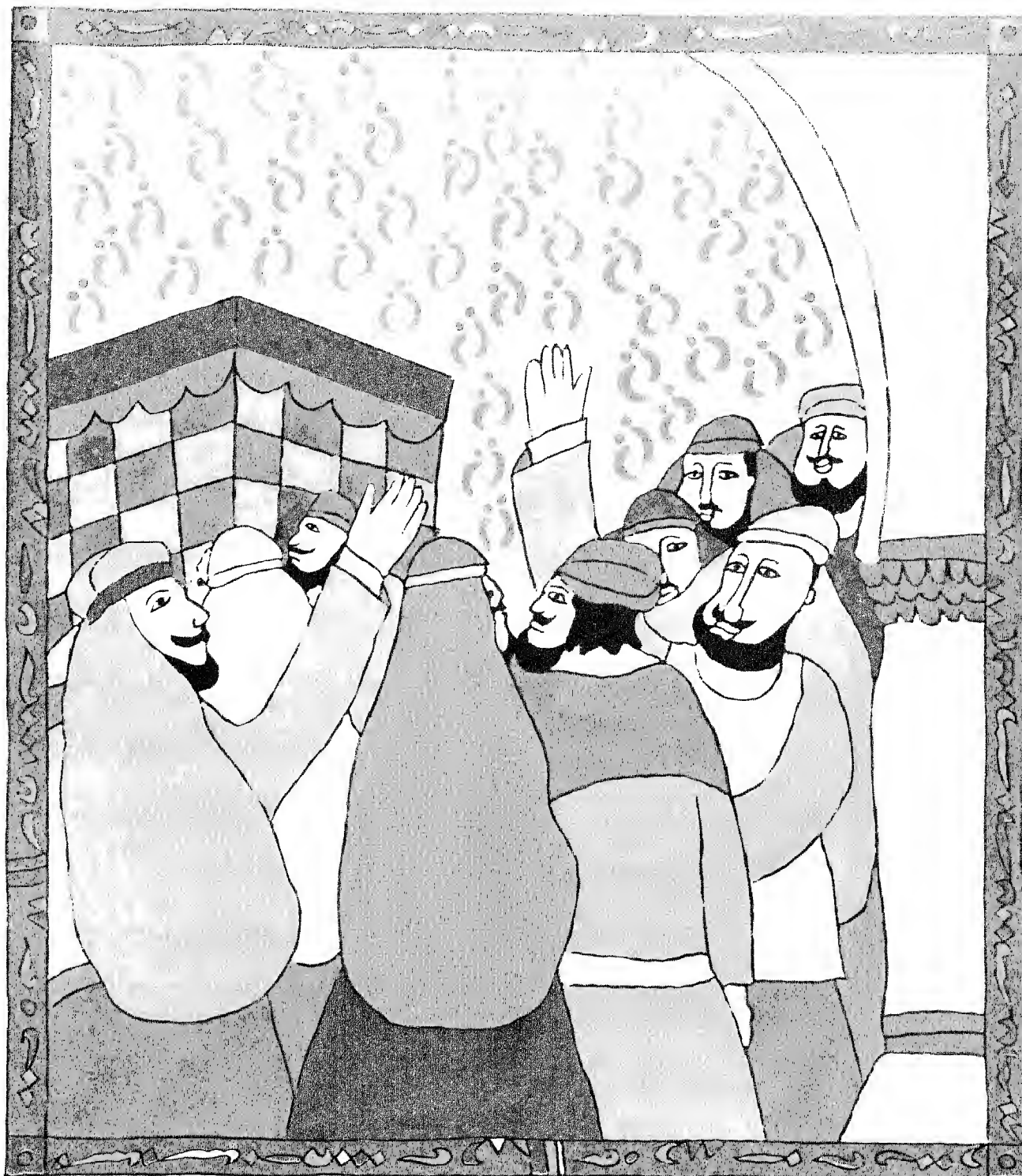
مُنْذُ أَنْ حَرَنْتَ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَرَكَتْ فِي الْأَرْضِ عِلْمَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَمْسَكَهَا فَاسْتَعَدَّ لِقَبُولِ كُلِّ
جَدِيدٍ مَا دَامَ هَذَا الْجَدِيدُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَأَعْلَنَ ذَلِكَ فَقَالَ :
« وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَدْعُونِي قُرَيْشُ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ
يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ ، وَفِيهَا صَلَةٌ رَحِمَ ، إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ
إِيَّاهَا » .

وَكَانَ مِنْ ثَمَرَاتِ هَذَا الصُّلْحِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ أَنْ وَضَعَتْ
الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ^(١) بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ .

ثُمَّ تَمَّ الاعْتِرَافُ الضَّمْنِي بِالْمُسْلِمِينَ كَقُوَّةٍ فَكَانَتْ هَذِهِ الْمُعَاهَدَةُ
الْمَيْمُونَةُ ^(٢) . كَمَا أَنَّ هَذَا الصُّلْحَ . . فَتَحَ مَجَالَ الْعَمَلِ وَالِاتِّصَالِ
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عَرَبِ الْبَادِيَةِ وَمِنَ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ حَوْلَ
الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَةِ وَكَانَتْ هَذِهِ فُرْصَةً طَيِّبَةً لِيَعْرِضُوا عَلَيْهِمْ مَبَادِي
الْإِسْلَامِ .

(١) وضعت الحرب أوزارها : انقضى أمرها ، وخفت أثقالها فلم يبق قتالٌ

(٢) المباركة .



كما أصبح للمسلمين الحق في زيارة بيت الله الحرام

كَمَا أَصْبَحَ لِلْمُسْلِمِينَ الْحَقُّ فِي زِيَارَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ دُونَ قِتَالٍ وَمِنْ حَسَنَاتِ هَذِهِ الْمُعَاهِدَةِ أَنْ تَفَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ لِيُوجِّهَ قُوَّتَهُ إِلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا يَعُدُّونَ الْعُدَّةَ لَهُجْمَةِ شَرِسَةٍ . . ثُمَّ كَانَ الشَّرْطُ الَّذِي تَأَلَّمَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ غَايَةَ التَّأَلُّمِ وَتَمَسَّكَ الْمُشْرِكُونَ بِهِ غَايَةَ التَّمَسُّكِ فَرَجًّا لِلْمُسْتَضْعَفِينَ فِي مَكَّةَ ، وَنَكَدًا وَغَمًّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ . . فَقَدْ حَدَّثَ أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ - عُتْبَةَ بْنُ أُسَيْدٍ الثَّقَفِيُّ - فَرَّ إِلَى الْمَدِينَةِ هَارِبًا بِدِينِهِ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ مِنْ وَرَائِهِ رَجُلَيْنِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ تَطَالِبُهُ بِرَدِّ أَبِي بَصِيرٍ وَفَاءً بِشَرْطِ الصُّلْحِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« يَا أَبَا بَصِيرٍ ، إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا الْقَوْمَ عَهْدًا . . وَلَا يَصْلُحُ فِي دِينِنَا الْغَدْرُ ، فَانْطَلِقْ إِلَى قَوْمِكَ » .

فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ مُسْتَعْظِفًا :

يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرُدُّنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونَنِي ^(١) فِي دِينِي ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« انْطَلِقْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا » وَعِنْدَمَا رَأَى أَبُو بَصِيرٍ إِضْرَارَ النَّبِيِّ انْطَلَقَ مَعَ الرَّسُولَيْنِ الْمُشْرِكَيْنِ ، وَفِي الطَّرِيقِ احْتَالَ ^(٢) أَبُو بَصِيرٍ حَتَّى أَخَذَ مِنَ الرَّجُلَيْنِ سِلَاحَهُمَا ثُمَّ رَاحَ يَضْرِبُ أَحَدَهُمَا حَتَّى قَتَلَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الثَّانِي مَا حَدَثَ فَرَّ بِنَفْسِهِ هَارِبًا حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْمَسْجِدَ مُرْتَعِدًا وَهُوَ يَصْرُخُ :

(١) يُؤْذَنِي حَتَّى أَتْرِكَ دِينَ الْإِسْلَامِ (٢) احْتَالَ : طَلَبَ الشَّيْءَ بِالْحِيلَةِ



« قَتَلَ صَاحِبُكُمْ صَاحِبِي »

وَالْتَفَّ النَّاسُ حَوْلَهُ وَهُوَ يَصْرُخُ وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَضَرَ أَبُو بَصِيرٍ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ أَوْفَيْتَ بِعَهْدِكَ فَأَرْجَعْتَنِي إِلَى قُرَيْشٍ ، وَلَكِنِّي قَدْ امْتَنَعْتُ بِدِينِي أَنْ أُفْتَنَ فِيهِ .

فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ وَالْأَلَمُ يَعْتَصِرُهُ وَقَالَ لَهُ : « اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ » . فَاِنْطَلَقَ أَبُو بَصِيرٍ هَارِبًا مِنَ الْمَدِينَةِ يَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ يَخْتَبِئُ فِيهِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَسَى يَمْلَأُ صَوْتَهُ :

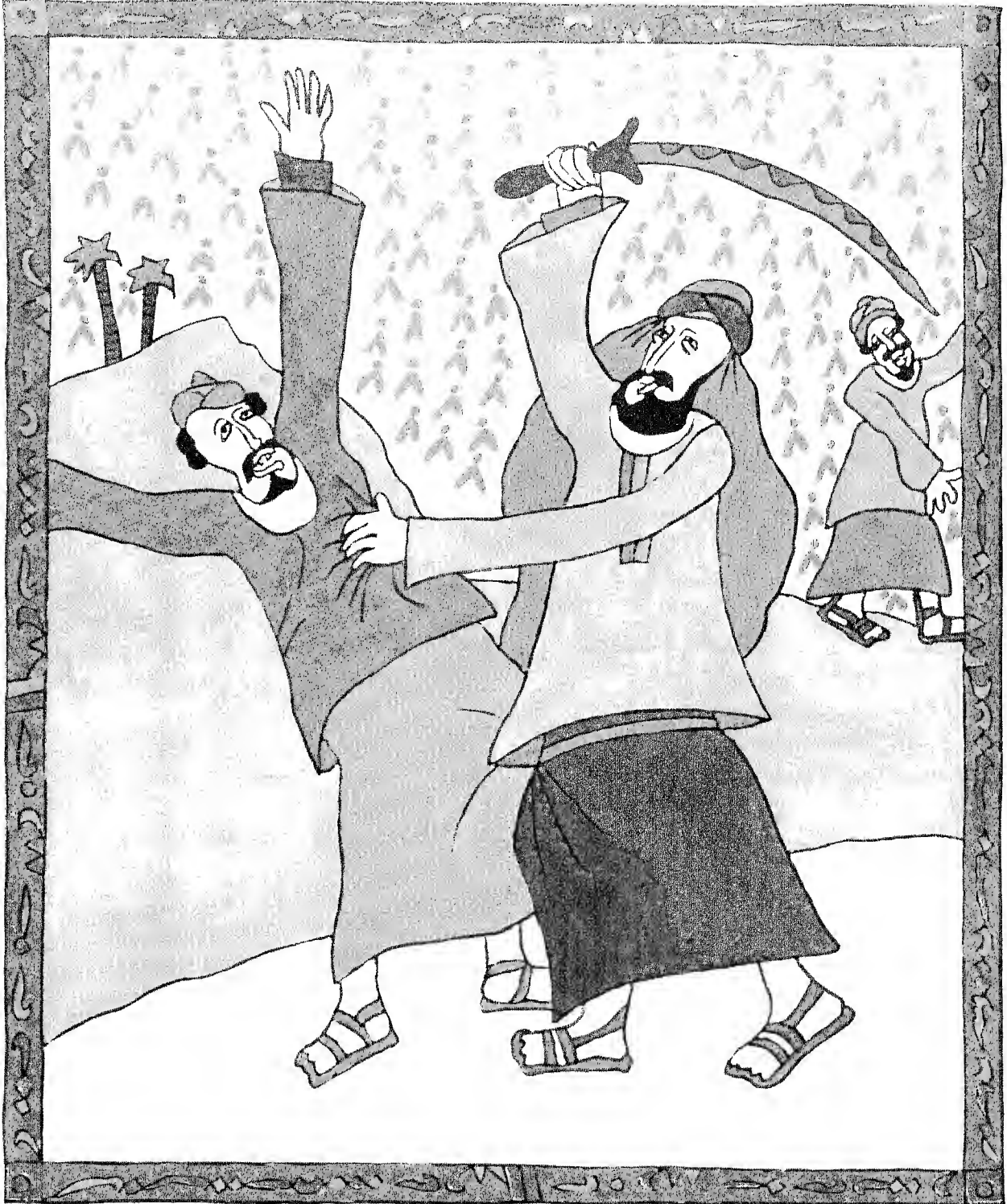
« وَيْلُ امَّةٍ مِسْعَرٌ حَرْبٌ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ » (١) .

انْطَلَقَ أَبُو بَصِيرٍ حَتَّى قَعَدَ بِطَرِيقِ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ لِيُغِيرَ عَلَيْهَا ، وَعِنْدَمَا انْتَشَرَ نَبَأُ أَبِي بَصِيرٍ فِي مَكَّةَ فَرِحَ الْمُسْتَضْعِفُونَ وَرَاحُوا يَتَسَلَّلُونَ إِلَيْهِ أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ . . ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَيْهِ أَبُو جَنْدَلٍ وَمَعَهُ سَبْعُونَ رَاكِبًا كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا سِرًّا حَتَّى وَصَلَ الْعَدَدُ إِلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ مُقَاتِلٍ « أَصْبَحَ هُمُومُ الْأَوَّلِ هُوَ التَّرْبُصُ لِقُرَيْشٍ وَبِضَاعَتِهَا » .

وَلَمْ تَجِدْ قُرَيْشٌ حَلًّا إِلَّا أَنْ بَعَثَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ تَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِالْأَرْحَامِ أَنْ يُرْسِلَ لِأَبِي بَصِيرٍ وَمَنْ مَعَهُ لِيُقِيمُوا مَعَهُ فِي الْمَدِينَةِ . . فَكَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ كِتَابًا يَأْمُرُهُمْ بِالْعَوْدَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لِتِجَارَةِ قُرَيْشٍ .

(١) أى لو كان معه رجال يستطيع أن يشعل حرباً ضارية .





احتال أبو بصير حتى أخذ من الرجلين سلاحهما

الفتح القريب « غزوة خيبر »

تركت مذبحه قريظة في نفوس يهود خيبر الأمرين . . كما كان صلح الحديبية ودخول عدد كبير في الإسلام ومهادنة قريش لمحمد سببا آخر في إشعال نار الحقد الأسود . . وكانت الكلمة التي قالها زعيمهم حيي بن أخطب منذ رأى رسول الله يقدم المدينة هي الدستور الذي سار عليه اليهود : عداوته - والله ما بقيت .

ولم يكن رسول الله يسائر اليهود في خصومتهم ولا يبادلهم شعور الحقد والضغينة ، بل كان يلتبس الفرصة ليصلح ما بينه وبينهم إيماناً منه أنهم أتباع أخيه موسى عليه السلام وأصحاب كتاب نزل من السماء هو التوراة . . ولذا كان ينتهز أي فرصة ليدعوهم إلى السلام والوئام ^(١) فما أرسل إلا رحمة للعالمين أي للناس جميعاً . . وعندما علم أن زعيم اليهود أسير بن رزام يعد العدة لحربه حاول أن يدعوهم إلى السلم لينقذ قومه من نار الحرب فأرسل إليه عبد الله بن رواحة ومعه ثلاثون من الأنصار يدعوهم

(١) الصلح



إلى ترك الأحقاد والعيش مع المسلمين في أمان وسلام . .
فاستجاب زعيم اليهود في أول الأمر وخرج مع المسلمين في ثلاثين
من اليهود قاصداً رسول الله وفي وسط الطريق ندم على خروجه
وعبر رأيه بل وهم بالغدر بابن رَوَاحَةَ فانتبه فجاءه وقال له :

أغدرًا يا عدو الله ؟ ثم رفع سيفه وضرب زعيم اليهود ضربة
أطاحت فخذَه بساقه وسارع المسلمون إلى بقية اليهود فقتلوهم .
وحزن صلى الله عليه وسلم لهذا الحدث وكان يأمل في
مصالحة تُنهي حالة الحرب في المنطقة .

وسار بقية الزعماء على نفس الطريقة وبدءوا يتجمعون
ويستعدون ليفاجئوا رسول الله ويقتلوه ومن معه . . وعلم صلى
الله عليه وسلم بما تنوي يهود خيبر . . وأخذ يتهيأ لقتالهم .

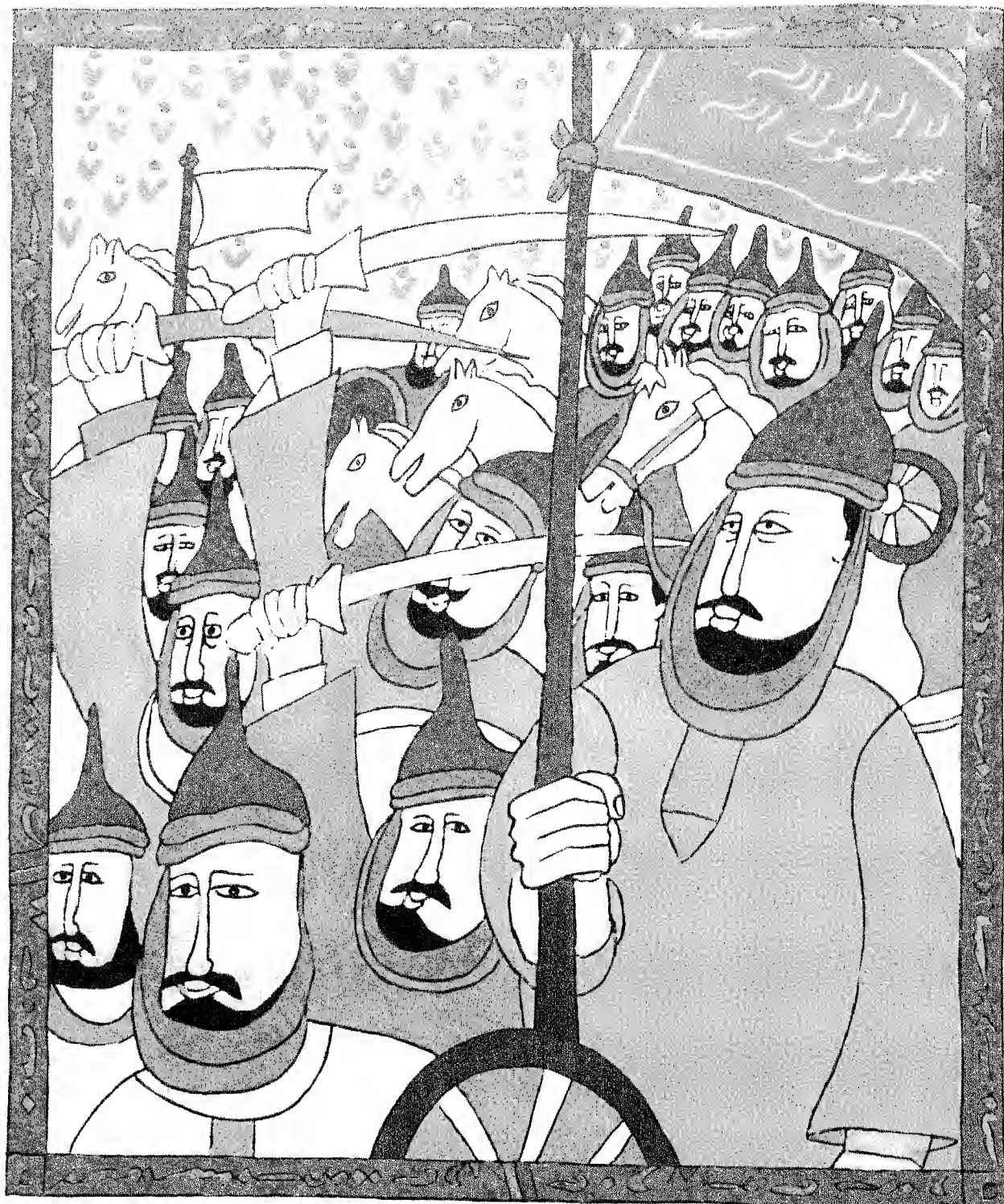
كانت بلاد خيبر مقسمة إلى ثلاث مناطق حربية . . وكل
منطقة مقسمة إلى عدة حصون قوية ومنيعه . . وكانت جموع
اليهود في خيبر من أقوى الطوائف الإسرائيلية قوة في القتال
وصلابة وبأساً كما كانت تملك أقوى الأسلحة في ذلك الوقت . .
ولم يكن أحد يظن أن للمسلمين قدرة على غزوهم .

وقبل أن يتحرك اليهود متجهين إلى المدينة . . خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شهر المحرم من السنة السابعة (أغسطس
٦٢٨ م) في ألف وستمائة من أصحابه . . وكانت الحصون فوق





أغدر يا عدو الله . . ثم رفع سيفه وضرب زعيم اليهود



خرج جيش المسلمين لقتال يهود خيبر

الجبالي . . فبحث صلى الله عليه وسلم عَنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْ مَدَى
النَّبْلِ فَعَسَكَرَ فِيهِ . . حَتَّى إِذَا كَانَ الصَّبَاحُ خَرَجَ الْيَهُودُ لَعْمَلِهِمْ
فِي الْحَقُولِ فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ فَتَمَلَّكَهُمْ الرُّعْبُ
وَالْهَوْلُ فَجَعَلُوا يَصِيحُونَ :

« مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ ^(١) . . . مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ »

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُكَبِّراً . . اللَّهُ أَكْبَرُ
خَرِبَتْ خَيْبَرُ . . إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ .
وَانْدَفَعَ الْيَهُودُ إِلَى حَصُونِهِمْ لِيَعْتَصِمُوا بِهَا كَمَا هِيَ عَادَتُهُمْ
بِالْحُرُوبِ « وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نِعْتُهُمْ حُصُونَهُمْ مِنْ اللَّهِ ، فَاتَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ
حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ » ^(٢)

وَطَالَ حِصَارُ الْمُسْلِمِينَ لِلْحَصُونِ وَاسْتَعْمَلَ الْمُسْلِمُونَ الرَّمْيَ
بِالنَّبَالِ كَمَا اسْتَعْمَلُوا الْمُنْجَنِيْقَ وَظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ يُقَاتِلُ أَهْلَ
هَذَا الْحِصْنِ وَيُعْطَى الرَّايَةُ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِأَحَدِ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى
اسْتَطَاعَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَفْتَحَهُ .

وَفَرَّ الْيَهُودُ إِلَى الْحِصْنِ الَّذِي يَلِيهِ . . وَاعْتَصَمُوا بِهِ وَقَاتَلُوا قِتَالاً
شَدِيداً حَتَّى انْهَزَمَ الْيَهُودُ وَأَغْلَقُوا الْحِصْنَ عَلَيْهِمْ وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ
فَتْحُوهُ وَانْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ .

(١) معنى الخميس : الجيش وكان يقسم إلى ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة وقلب ، أى إلى
خمسة أجزاء .

(٢) آية ٢ من سورة الحشر



وطال حصار المسلمين للحصن واشتد القتال

وَلَمَّا سَقَطَ الْحِصْنُ الثَّانِي فَرَّ الْيَهُودُ إِلَى حِصْنٍ ثَالِثٍ فَاعْتَصَمُوا بِهِ وَحَمَلُوا حَمْلَةً مُنْكَرَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَاسْتَمَاتُوا فِي الْقِتَالِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ حَتَّى أَكَلُوا لَحْمَ الْخَيْلِ . . وَظَلُّوا يُقَاتِلُونَ حَتَّى اقْتَحَمُوا الْحِصْنَ وَفَتَحُوهُ عُنُوةً ^(١) وَوَجَدُوا فِيهِ مِنَ الشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالسَّمَنِ وَالْعَسَلِ وَالْمَتَاعِ شَيْئاً كَثِيراً فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا وَاسْتَجْمَعُوا قُوَاهِمَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَخْشَى أَنْ يَنْصَرِفُوا إِلَى حَمْلِ الْغَنَائِمِ وَتَثْقُلَ حَرَكَتُهُمْ لِهَذَا بَعَثَ مُنَادِياً يُنَادِي أَنْ « كُلُّوا وَاعْلِفُوا وَلَا تَحْمِلُوا » .

وَمِنْ عَجِيبِ الْأَمْرِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ عَثَرُوا فِي هَذَا الْحِصْنِ تَحْتَ الْأَرْضِ عَلَى مَنْجَنِيْقٍ ^(٢) وَدُرُوعٍ وَسُيُوفٍ وَكَثِيرٍ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ فَاَنْتَفَعُوا بِهَا كَثِيراً وَذَهَبُوهُمْ عَلَى هَذَا الْحِصْنِ يَهُودِيٌّ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ مِنْ أَنْ يُقْتَلُوا .

وَفَرَّ الْيَهُودُ إِلَى حِصْنٍ رَابِعٍ فَوْقَ قِمَةٍ عَالِيَةٍ فَحَاصَرَهُ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى اكْتَشَفُوا أَنَّ وَرَاءَ الْحِصْنِ جَدُولاً مِنَ الْمَاءِ يَمُدُّ الْحِصْنَ بِهِ ، فَقَطَعَ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ الْجَدُولَ . . فَاسْتَسْلَمَ الْيَهُودُ وَفَرَّ مِنْهُمْ مَنْ فَرَّ إِلَى حِصْنٍ خَامِسٍ .

(١) فتحوه رغم أنفه وبالقوة . . .

(٢) منجنيق : من أدوات الحرب يُقذف بها النار على الأعداء .



عشر المسلمون في هذا الحصن تحت الأرض على دروع وسيوف

واستمرَّ الرَّمْيُ بالنِّبَالِ أياماً طويلةً حتى أصابَ النَّبْلُ ثِيَابَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلِقَ بِهِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يُنْصَبَ عَلَى الْجَبَلِ الْمَنْجَنِيقُ ، ولما رأى اليهودُ ذلكَ أَسْلَمُوا الْحِصْنَ وَهَرَبُوا إِلَى حِصْنٍ سَادِسٍ كَانَ شَدِيدَ الْمَنَعَةِ وَالْقُوَّةِ واستمرَّ القتالُ عشرينَ ليلةً .

ثُمَّ فَتَحَهُ اللَّهُ عَلَى يَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

وقد سَبَى الْمُسْلِمُونَ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ (١) ومن بينهم السيدةُ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ زَعِيمِ الْيَهُودِ . . فَخَيَّرَهَا رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ أَنْ يَعْتِقَهَا وَيَتَزَوَّجَهَا وبذلكَ يُنَاسِبُ الْيَهُودَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُطْفِئُ مِنْ غُلَوَائِهِمْ (٢) أَوْ يُلْحِقَهَا بِأَهْلِهَا فَتَقَرَّ إِلَى الْحِصْنِ الَّذِي يَلِيهِ . . فاخترتُ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةً لَهُ فَأَعْتَقَهَا وجعلها من نساءه ولم يدَّخِرْ وَسْعاً فِي تَطْيِيبِ نَفْسِهَا وَإِزَالَةِ مَا فِي قَلْبِهَا مِنْ حِقْدٍ فَرَّاحَ يَشْرَحُ لَهَا الْإِسْلَامَ وَكَيْفَ أَنَّهُ كَانَ يَتَمَنَّى أَنْ يَعِيشَ مَعَ الْيَهُودِ فِي سَلَامٍ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ سَمَاوِيٍّ يَوْمَنُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ . . ولكن أباهَا ظَلَّ يُحَرِّضُ الْعَرَبَ وَيَجْمَعُ الْيَهُودَ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

وفَرَ الْيَهُودُ إِلَى حِصْنٍ سَابِعٍ وَكَانَ آخِرَ الْحُصُونِ فَحَاصَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَتَقَنُوا (٣) أَنَّهُمْ هَالِكُونَ فَاسْتَسَلَمُوا .

(١) الْأَطْفَالُ (٢) مِنَ الْغُلُوِّ وَالتَّشَدُّدِ فِي الْكِرَاهِيَةِ (٣) صَدَقُوا وَتَأَكَّدُوا

وَسَقَطَ الْحِصْنُ السَّابِعُ فَسَقَطَتْ خَيْبَرُ كُلُّهَا فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ
وَلَمَّا تَمَّ الصُّلْحُ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَهْلِ خَيْبَرٍ ، لَمْ يَرْغَبُوا فِي الْهَجْرَةِ
وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَتْرَكَهُمْ يَعْمَلُونَ فِي الْأَرْضِ وَيُعْطُوهُ نَصْفَ
ثِمَارِهَا فَأَبَقَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ إِذَا شَاءَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ
أَخْرَجَهُمْ .

فَسَمَّ رَسُولُ اللَّهِ غَنَائِمَ خَيْبَرٍ بَعْدَ أَنْ خَمَسَهَا ، فَأَعْطَى الرَّاجِلَ ^(١)
سَهْمًا وَأَعْطَى الْفَارِسَ ثَلَاثَةَ أَشْهُمٍ ، وَأَعْطَى رَجُلًا وَنِسَاءً مِنْ بَنِي
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَعْطَى الْيَتِيمَ وَالسَّائِلَ ، وَأَعْطَى أَهْلَهُ وَأَعْطَى الْعَبِيدَ
وَالنِّسَاءَ مِمَّنْ شَهِدَ خَيْبَرَ . . . وَهَكَذَا كَانَتْ غَنَائِمُ خَيْبَرٍ أَكْثَرَ مَغَانِمَ
حَصَلَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ إِذْ يَقُولُ : « لَقَدْ رَضِيَ
اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ^(٢) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » سورة الفتح ١٨ / ١٩

الْيَهُودُ تَحْتَ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ

رَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يُقِيمَ الْيَهُودُ عَلَى أَرْضِ خَيْبَرٍ بَعْدَ تَارِيخٍ مِنْ
الْغَدْرِ وَالْكَذِبِ وَالذِّسِّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالتَّشْكِيكِ فِي

(١) مَنْ قَاتَلَ سِرًا عَلَى قَدَمَيْهِ

(٢) فَتَحَ خَيْبَرَ

القرآن ، والتأليب على النبي وأهله . . فلما تمَّ لرسول الله النصر عليهم وأمن شرُّهم إلى حدٍ كبيرٍ . . رضى أن يُقيم اليهود كما أرادوا لمن ألقوا سلاحهم .

وقد حرص سيّد الخلق على أن تقوم علاقة أساسها المودة والصِّفاء أخوة في الله ، فتزوج السيدة / صفيّة بنت حبيّ ليؤكد بذلك حُسن العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب وجاهد صلى الله عليه وسلم في إقامة العدل في معاملتهم والرِّفق بهم وإزالة العداوة من صدورهم .

رُوى أن بلالاً مرَّ بصفيّة وابنة عم لها على قتلى اليهود في الطريق فصاحت ابنة عمها صياحاً ، فكره رسول الله ما صنع بلالٌ وقال له غاضباً :

- ذهبت الرحمة منك ؟ أتمرّ بجارية حديثه السن على القتل . . فقال بلال أسفاً :

« يا رسول الله ، ما ظننت أنك تكره ذلك ، وأحبيت أن ترى مصرع قومها »

ولم يتركه رسول الله حتّى أقسم ألا يفعل ذلك أبداً .

وفي أحد الأيام ذهب جمع من اليهود لمقابلة سيّد الخلق وشكوا له أن المسلمين يقعون في حرثهم ويدخلون في زراعتهم بعد الصُّلح .



فأمر رسول الله بجمع المسلمين ثم قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إِنَّ الْيَهُودَ شَكُوا إِلَى أَنْكُمْ وَقَعْتُمْ فِي حَظَائِرِهِمْ ، وقد أَمَّنَاهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَعَلَى أَمْوَالِهِمْ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَرْضِيهِمْ وَعَاهَدْنَاهُمْ أَنَّهُ لَا تَحِلُّ أَمْوَالُ الْمُعَاهِدِينَ إِلَّا بِحَقِّهَا » .

وختم حديثه صلى الله عليه وسلم « قَائِلًا مَنْ آذَى لِي ذِمِّيًّا فَأَنَا خَصِيمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وَتَابَ الْمُسْلِمُونَ وَصَارُوا لَا يَأْخُذُونَ مِنْ بُقُولِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِالْثَمَنِ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسِلُ إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ لِيُقَدِّرَ مَقَادِيرَ الْغَلَّاتِ وَالثَّارِ فَإِذَا قَالَ الْيَهُودُ تَعَدَّيْتَ عَلَيْنَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى الْفَوْرِ : إِنَّ شِئْتُمْ فَلَكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَلَنَا فَيَقُولُ الْيَهُودُ :

« بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ » أَيْ بِهَذَا الْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَكَانَ بَيْنَ الْمَغَانِمِ الَّتِي غَنِمَهَا الْمُسْلِمُونَ فِي خَيْبَرَ صَحَائِفُ مِنَ التَّوْرَةِ فَجَاءَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَهَا فَأَمَرَ النَّبِيُّ بِتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِمْ (٢) .

فهل قدَّر اليهود موقف رسول الله حين تمكَّن منهم ؟ هل أدركوا أن الإسلام لم يكن يريد لهم شراً وأن مبادئ الإسلام

(١) ذِمِّيًّا : يهوديا أو مسيحيا .

(٢) الرُّومَانُ عندما تغلبوا على أُورُشَلِيمَ وفتحوها سنة ٧٠ قبل الميلاد أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بالأقدام . . . كما أحرقت المتعصبون من النصارى في الأندلس صُحف التَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ .

تقومُ على الحقِّ والعدلِ واحترامِ كافة الأديانِ والمساواةِ بينَ النَّاسِ؟
بالطبع لا ، وللأسف الشديد لم تمضِ بضعةُ أشهرٍ حتى أغروا
سيدةً يهوديةً فدستِ السُّمَّ في ذراعِ شاةٍ مشويةٍ بعد أن علِمتُ أن
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يُفضِّلُ الذَّرَاعَ . . وأرسلتها هديةً
لَهُ .

فجلس رسولُ الله ومعه أصحابُهُ وتناولَ رسولُ الله الذَّرَاعَ وأخذ
مِنْهَا مُضْغَةً فَإِذَا بِالذَّرَاعِ تَنْطِقُ : لَا تَأْكُلْنِي فَإِنِّي مَسْمُومَةٌ . .
وَأَزَاحَ صلى الله عليه وسلم الشَّاةَ وَابْتَعَدَ وَلَكِنَّ أَحَدَ الصَّحَابَةِ
وَهُوَ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بنِ معرور كان قد ابتلعَ مُضْغَةً فسقطَ مَيِّتًا .
وأحضرَ رسولُ الله المرأةَ فاعترفتُ ، فقال لها :
- مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟

قَالَتْ - قُلْتُ إِنَّ كَانَ مُحَمَّدٌ مَلِكًا اسْتَرْحَنَا مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا
فَسَيُخْبِرُ^(١) وَرَغِمَ ذَلِكَ تَجَاوَزَ عَنْهَا رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم .

(١) يقول الدكتور أحمد شلبي : ويقال إنه اقتصَّ منها لوفاء بشر بن البراء .





اليهودية وذراع الشاه المسمومة

مَكَاتِبَةُ الْمُلُوكِ

قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١)

وَقَالَ لَهُ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا . . . ﴾ (٢)

فَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَسْعَى سَيِّدُ الْخَلْقِ لِإِلَاتِّصَالِ بَدْوِ الْعَالَمِ وَتَبْلِيغِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ لِأَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ لَيْسَتْ لِلْعَرَبِ فَقَطْ وَلَكِنْ لِّلنَّاسِ جَمِيعًا . . فَأَخَذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْتُبُ الرِّسَائِلَ لِّلْمُلُوكِ ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يَضَعَ خَاتَمًا خَاصًّا بِهِ - لِيُخْتَمَ بِهِ الرِّسَائِلُ كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .

ثُمَّ جَمَعَ أَصْحَابُهُ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُ سَيُرْسِلُهُمْ إِلَى أَمَاكِنَ مُتَفَرِّقَةٍ قَدْ تَكُونُ بَعِيدَةً عَنْ أَرْضِ الْحِجَازِ . . ثُمَّ قَالَ :

- أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ فَأَدُّوا عَنِّي رَحِمَتِي
اللَّهُ وَلَا تَخْتَلَفُوا عَلَيَّ كَمَا اخْتَلَفَ الْخَوَارِثُونَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ .

(١) الْأَنْبِيَاءُ (١٠٧) .

(٢) سَبَأُ (٢٨) .



فَقَالَ أَصْحَابُهُ :

- وَكَيْفَ اخْتَلَفَ الْحَوَارِيُّونَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا رَسُولَ

اللَّهِ ؟

فَقَالَ :

- دَعَاهُمْ لِمِثْلِ مَا دَعَوْتُكُمْ لَهُ ، فَرَضِيَ مِنْهُمْ مَنْ أُرْسِلَ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ وَكَرِهَ مِنْهُمْ مَنْ أُرْسِلَ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ ، فَشَكَأَ ذَلِكَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَعِنْدَئِذٍ أَعْلَنَ الْجَمِيعُ موافقتهم على السفرِ إلى حيثُ يشاءُ سيِّدُ الخَلْقِ : بَلْ لَقَدْ حَرِصَ كُلُّ مِنْهُمْ عَلَى تَعْلَمِ لُغَةِ الْقَوْمِ الَّتِي سَيُحَدِّثُهُمْ بِهَا .

قَيَّصَرُ الرُّومِ :

أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (دِخْيَةَ الْكَلْبِي) إِلَى قَيَّصَرِ الرُّومِ بِكِتَابٍ يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى قَيَّصَرِ الْمَلِكِ فِي الشَّامِ قَالَ عَسَاكِرُ الْمَلِكِ لِدِخْيَةَ :

- إِذَا رَأَيْتَ الْمَلِكَ فَاسْجُدْ لَهُ ، ثُمَّ لَا تَرْفَعْ رَأْسَكَ أَبَدًا حَتَّى يَأْذَنَ لَكَ .

فَقَالَ دِخْيَةُ :

- مَعَاذَ اللَّهِ لَا أَسْجُدُ لِغَيْرِ اللَّهِ .





قيصر الروم

فقالوا له :

- إِذْنٌ لَا يَأْخُذُ كِتَابَكَ .

ودخل دحية مرفوع الرأس ومعه كتاب محمد . . فلما لاحظ قيصر أنه لم يسجد تعجب وأخذ الكتاب ونادى على الترجمان فترجمه له .

وأراد قيصر أن يعرف من محمد ؟ وما صفته ؟ فقال :

- ابحثوا لنا عن رجل من قومه نسأله .

فراحوا يبحثون في أسواق الشام ، فوجدوا أبا سفيان يتاجر في أسواق غزة مع رجال من قريش .

فأحضروه إلى الملك في بيت المقدس .

فدخل أبو سفيان ومعه رجال من قريش على الملك وهو جالس على عرشه وعليه تاج الملك وعظماء الروم حوله فقال لترجمانه :

- سَلِّمُوا لَهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟

فقال أبو سفيان :

- أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا إِلَيْهِ .

فقال له قيصر :

- كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فِيكُمْ ؟

فقال أبو سفيان :

- هُوَ مِنَّا ذُو نَسَبٍ .



- هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَبْلَهُ ؟

- لَا .

- هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ عَلَى النَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟

- لَا .

- كَيْفَ عَقْلُهُ وَرَأْيُهُ ؟

- لَمْ نَعْبَ عَلَيْهِ عَقْلاً وَلَا رَأْيًا قَطُّ .

- أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟

- بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ .

- فَهَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟

- بَلْ يَزِيدُونَ .

- فَهَلْ يَغْدُرُ إِذَا عَاهَدَ ؟

- لَا .

- فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ ؟

- نَعَمْ .

- فَكَيْفَ حَرْبُكُمْ وَحَرْبُهُ ؟

- دُولٌ وَسِجَالٌ أَيْ نَنْتَصِرُ عَلَيْهِ مَرَّةً ، وَيَنْتَصِرُ عَلَيْنَا مَرَّةً .

- فَبِمَ يَأْمُرُكُمْ ؟



- يَأْمُرُنَا بِأَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا . وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ ، وَالصَّدَقَةِ ، وَيَأْمُرُنَا بِالْوَفَاءِ
بِالْعَهْدِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ .

لَمْ يَجْرُؤْ أَبُو سُفْيَانَ عَلَى الْكَذِبِ لِأَنَّ نَاسًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا
حَاضِرِينَ فَخَشِيَ أَنْ يُعْرِفَ عَنْهُ الْكَذِبُ .
وَفِي نَهَايَةِ اللَّقَاءِ قَالَ قَيْصَرُ الرُّومِ :

- إِنَّهُ نَبِيٌّ ، وَكُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ ، وَلَكِنْ لَمْ أَظَنَّ أَنَّهُ فِيكُمْ وَلَوْ
كُنْتُ عَنْدهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِيهِ .

وَتَعَجَّبَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْقُرَشِيِّينَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي يَغْلُو فِي كُلِّ يَوْمٍ .

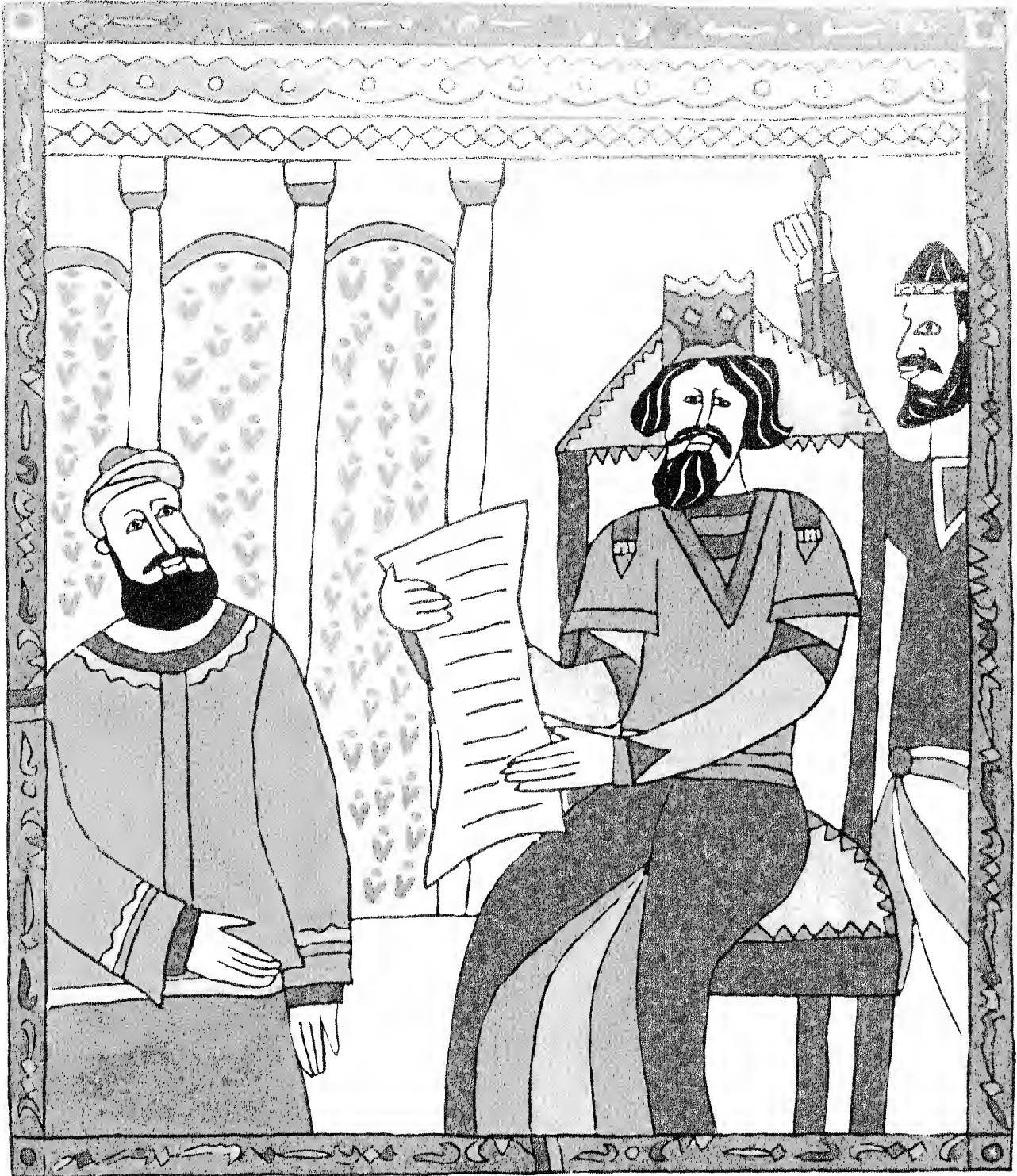
كِسْرَى فَارِسَ :

أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ بِرِسَالَةٍ إِلَى مَلِكِ فَارِسٍ . .
جَاءَ فِيهَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ
اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . . أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ اللَّهِ ، فَإِنِّي
أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لِأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى





كسرى فارس يقرأ الرسالة

الكَافِرِينَ . - أَسْلِمَ تَسْلَمَ ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ (١)
(أَيُّ الَّذِينَ هُمْ أَتْبَاعُكَ) .

قرأ كِسْرَى الرسالة ، فلما وجدته يبدأ : مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى
كِسْرَى عَظِيمِ الْفُرْسِ . . غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا لِأَنَّ مُحَمَّدًا بَدَأَ
الْكِتَابَ بِنَفْسِهِ فَمَزَّقَ الرِّسَالَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى بَاذَانَ نَائِبِهِ عَلَى الْيَمَنِ
لِيُرْسَلَ رَجُلَيْنِ مِنْ عِنْدِهِ لِيَأْتِيَا بِمُحَمَّدٍ مُكَبَّلًا فَلَمَّا قَدِمَ الرَّجُلَانِ عَلَى
الرَّسُولِ قَالَ الرَّسُولُ لهما إِن ابْنَ الشَّاهِنشَاهِ قَدْ قَتَلَهُ فَعُودُوا إِلَى بَاذَانَ
بِهَذَا الْخَبَرِ ، فَعَادَا بِذَلِكَ وَسُرْعَانَ مَا وَصَلَتْ الْأَنْبَاءُ بِقَتْلِ الشَّاهِنشَاهِ
فَأَمَّنَ بَاذَانَ وَأَمَّنَ أَهْلَ الْيَمَنِ . . وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ مِنْ
عِنْدِهِ وَسَافَرَ إِلَى مَكَّةَ وَحَكَّى لِسَيِّدِ الْخَلْقِ الْمَوْقِفَ .

وصمتَ رَسُولُ اللَّهِ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ :

- « لَتَفْتَحَنَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كُنُوزَ كِسْرَى الَّتِي فِي الْقَصْرِ
الْأَبْيَضِ » .

وبالفعل انتصر المسلمون في عهدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَى
الْفُرْسِ فَفَتَحَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ مَدَائِنَ فَارِسَ وَاسْتَوْلَى عَلَى كُنُوزِ
كِسْرَى مِنَ الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ .

(١) الَّذِينَ يَعْبُدُونَ النَّارَ .

النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ :

كَانَ النَّجَاشِيُّ مَلِكًا لِلْحَبَشَةِ وَقَدْ اشْتَهَرَ بِالْعَدْلِ فَلَمْ يُظْلَمْ
تَحْتَ رِئَاسَتِهِ أَحَدٌ حَتَّى ذَاعَ صِيَّتُهُ . . ولما هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى بِلَادِ
الْحَبَشَةِ أَكْرَمَهُمُ الْمَلِكُ وَجَاوَرَهُمْ ، وَعَرَفَ الْكَثِيرَ عَنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَنْ مَبَادِي الْإِسْلَامِ . . فَلَمَّا وَصَلَتْهُ رِسَالَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَنْ طَرِيقِ عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ أَخَذَهَا النَّجَاشِيُّ وَقَبَّلَهَا وَوَضَعَهَا
عَلَى رَأْسِهِ وَعَيْنَيْهِ وَنَزَلَ عَنْ سَرِيرِ مُلْكِهِ تَوَاضِعًا . . ثُمَّ شَهِدَ أَنَّ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

وَأَرْسَلَ كِتَابًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ جَاءَ فِيهِ :

« إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ . . مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ . . السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،
الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ .
أَمَّا بَعْدُ :

فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَدْ قَرَّبْنَا ابْنَ عِمِّكَ وَأَصْحَابَهُ
« يَغْنِي جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » فَأَشْهَدُ أَنَّكَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَادِقًا مُصَدِّقًا ، وَقَدْ بَايَعْتُكَ ،
وَبَايَعْتُ ابْنَ عِمِّكَ ، وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .



المَقْوُوسُ عَظِيمُ الْقِبْطِ (١) :

أرسل سَيِّدُ الْخَلْقِ (حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ) وَكَانَ ذَكِيًّا وَمُتَّقَفًا
بِكِتَابٍ إِلَى الْمَقْوُوسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ فِي مِصْرَ ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى مِصْرَ
عَلِمَ أَنَّ الْمَقْوُوسَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْأَسْكَندَرِيَّةِ . . فَرَكِبَ حَاطِبُ
سَفِينَةً حَتَّى حَادَتْ مَجْلِسَ الْمَلِكِ فِي سَفِينَتِهِ وَأَشَارَ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِ .
فَلَمَّا رَأَاهُ الْمَقْوُوسُ أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَدَخَلَ حَاطِبٌ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ الْكِتَابَ ، فَقَرَأَ فِيهِ « بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ . . فَإِنِّي
أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، اسْلِمْ تَسْلِمَ يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ « أَجْرًا
لِأَنَّكَ صَدَقْتَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَجْرًا لِأَنَّكَ صَدَقْتَ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمُ الْقِبْطِ ﴿ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ،
وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

فَقَالَ الْمَقْوُوسُ :

« مَا مَنَعَهُ إِنْ كَانَ نَبِيًّا أَنْ يَدْعُو عَلَى مَنْ خَالَفَهُ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ ؟ »

(١) القبط : كلمة يونانية الأصل بمعنى سكان مصر (ويقصد بها اليوم المسيحيون من
المصريين وجمعها أقباط) .

(٢) آل عمران آية (٦٤) .



كتاب سيد الخلق إلى المقوقس عظيم القبط في مصر

فَقَالَ لَهُ حَاطِبُ :

- أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَا بِأَنَّكَ حَيْثُ أَخَذَهُ قَوْمُهُ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ إِلَّا يَكُونُ دَعَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَهْلِكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى ، حَتَّى رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ؟

قَالَ لَهُ الْمُقَوَّقَسُ :

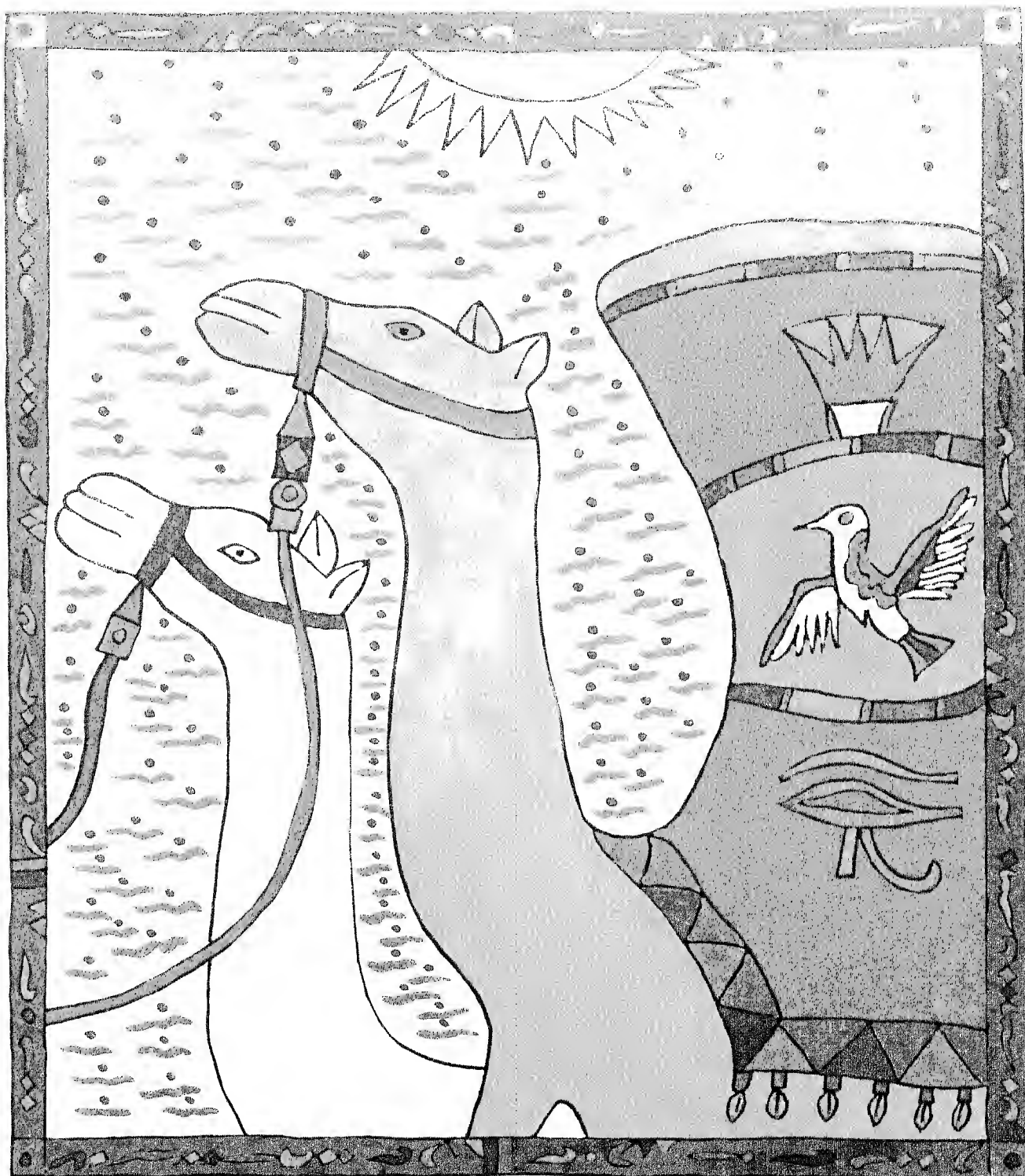
- أَحْسَنْتَ . . أَنْتَ حَكِيمٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ حَكِيمٍ .

قَالَ حَاطِبُ وَقَدْ رَأَى لَمْ يُؤْمِنْ بِنُبُوءَةِ مُحَمَّدٍ وَاعْتَبَرَهُ حَكِيمًا ، فَقَالَ مُحَاوَلًا أَنْ يُفْهَمَهُ :

- إِنَّ هَذَا النَّبَى صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ دَعَا النَّاسَ ، فَكَانَ أَشَدَّهُمْ عَلَيْهِ قَوْمُهُ الْقَرَشِيِّينَ ، وَأَعْدَاهُمْ لَهُ الْيَهُودَ ، وَأَقْرَبُهُمْ فِيهِ النَّصَارَى ، وَلَعَمْرِي مَا بِبَشَارَةِ مُوسَى بِعِيسَى عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، إِلَّا كَبَشَارَةِ عِيسَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا دُعَاؤُنَا إِلَيْكَ إِلَى الْقُرْآنِ ، إِلَّا كَدُعَائِكَ أَهْلَ التَّوْرَةِ إِلَى الْإِنْجِيلِ .

وَلَقَدْ أَكْرَمَ الْمُقَوَّقَسُ حَاطِبًا رَغِمَ عَدَمُ إِسْلَامِهِ ، بَلْ لَقَدْ أَرْسَلَ الْهَدَايَا الْكَثِيرَةَ وَالْثِيَابَ الْفَاخِرَةَ ، وَأَرْسَلَ جَارِيَتَيْنِ هَدِيَّةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - مَا رِيَّةَ الْقِبْطِيَّةَ وَسِيرِينَ ، وَأَرْسَلَ لَهُ بَعْلَةً يَرْكُبُهَا .

* * *



أرسل المقوقس الهدايا الكثيرة وجارتين إلى رسول الله - مارية القبطية وسيرين

كما أرسل رسول الله إلى أمير دمشق رسولا فثار وألقى الخطاب على الأرض وأخذ يعدُّ العدة لقتال المسلمين .

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عُمير إلى أمير بصرى من ولايات الروم فاعترضه شُرْحِبِيلُ بْنُ عُمَرَ الغساني وسأله : أأنت من يُسَلِّمُ بمحمد ؟

فقال : نعم . . فأمر به شُرْحِبِيلُ فُقُتِلَ .

وهكذا اختلفت ردود الفعل من بلد إلى آخر ومن ملك إلى آخر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمتلي ثقة بالله وأن الله ناصر دينه وأن الإسلام سوف ينتشر انتشار النور في فجاج الأرض .

كريمان حمزة



رقم الإيداع : ٩٥ / ٧٠٥٥
I.S.B.N. 977-09-0299-3

مطابع الشروقة

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - فاكس : ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

سيد الخلق

أحمد الأحزاب - حبيب

صدر للمؤلفة

- رحلتى من السفور إلى الحجاب الطبعة الرابعة
- رفقا بالقوارير الطبعة الرابعة
- نيجار والغابة « صراع البنوك الإسلامية »
- موسوعة أناقة وحشمة الطبعة الرابعة
- موسوعة أناقة وحشمة الجزء الأول
- موسوعة أناقة وحشمة الجزء الثانى
- موسوعة أناقة وحشمة الجزء الثالث
- موسوعة أناقة وحشمة الجزء الرابع
- خمسون حلاً لخمسين مشكلة .
- الإسلام والطفل

* * *

- على بن ابي طالب « الفارس الفقيه العايد »
- أبوذر الغفارى « حبيب الفقراء »
- آدم وحواء
- قابيل وهاييل
- أهل الكهف
- موسوعة سيد الخلق (٥ أجزاء)

أردت بهذا الكتاب أن ألفت النظر إلى شخصية « محمد » . . القرآن الذى يمشى على الأرض فيحل الأمن والسلام والخير والحب أينما سار وحل .

أردت أن أساعد ولو بجزء ضئيل فى عقلية أمة يأتى هواها تبعاً لما جاء به وحى السماء . . تعرف الهدف الذى نكرس له الوجود والجهود فتعمل لوجه واحد هو الله . . فيكفيها كل الأوجه وتمتز بالله فيعزها الله بنصره . . وتخدم الله فتخدمها الدنيا ولا تستخدمها .

أردت أن أشارك فى صناعة جيل يدرك أن الله قد رشحه لمنزلة ضخمة هى عمارة الأرض بالعلم الذى ألح عليه الإسلام وبالعامل الذى نادى به القرآن وأكد عليه وقرنه بالإيمان فقدمت هذا الكتاب « سيد الخلق » صلى الله عليه وسلم فى خمسة أجزاء . هذا هو الجزء الرابع .

كريمان حمزة